# الحرمل

السنة الثانية / العدد 35 / 01 آذار 2016

WWW.ALHARMAL.COM

الحرية دائماً

sayı 35 Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع منظمة بيت الرقة لكل السوريين



صفحة / 7 /

صفحة / 3 /


## إشكالية الهويات الطارئة وحياكة نسيجها الواهي

## نقص دواء حاد في الرقة ومرضى السكري يستغيثون

# النظام السوري يخرق الهدنة وروسيا تدعو إلى التقسيم

## ذرور الحرمل

### الدب الروسي.. بين النحل السوري.. وعيون الأنغورا التركية!

**بسام البليل**

الدب الذي يتشهّى العسل، لا يوقفه دوران النحل حول أذنيه، وإنّما تلك التي تلسعه في أنفه وعينيه.

ويبدو أن الدب الروسي الذي أفاق من سباته الشتوي الطويل، باحثاً عن مرتعٍ له في سورية، لم يتلقَ تلك اللسعات بعد من النحل السوري الذي يشتهر بقوة طيرانه، ودفاعه عن خليته، غير أنه أحسّ بمخاطر التجول في بيئات عدوة، وأدرك أن الحمار الديمقراطي السعيد بتورطه في أفغانستان جديدة، لا يقل مكراً وشراسة عن الفيل الجمهوري الذي قد يصل إلى البيت الأبيض قريباً.

فيما عيون قطط الأنغورا التركية اللامعة تراقب بحذر من مكامنها في جبال الأناضول، خطوات الدب الروسي الثقيلة، وهي التي طالما خمشت، على مدى سبعة عشر حرباً خاضتها مع روسيا، وجه الدب الروسي القميء.

وأغلب الظن، وفق المؤشرات الحالية لتطبيق هدنة وقف العمليات العدائية، وما سبق من زجر الروس للنظام السوري لقبول الهدنة، أنّ وقف إطلاق النار وإن شابته بعض الخروقات، سيظل الحل الأمثل الذي سيحرص الجميع على استمراره، لمباشرة العملية السياسية التي لا بد منها لكل الأطراف، للخروج من الأزمة السورية التي باتت أزمة إقليمية وعالمية.

لقد بات واضحاً للدول التي تدير الصراع على الأرض السورية، أن الشعب السوري ماضٍ إلى تقرير مصيره، واختيار نظام حكمه، مهما كانت التضحيات، وأنّ دعم النظام المتهالك القاتل لشعبه ليس خياراً حكيماً، بعد أن صار استمراره مبعث قلق أمني بصفته الجاذبة للإرهاب، ومبعث قلق إنساني بصفته الإجرامية.

وبات واضحاً أنّ الشعب السوري لن يقبل على أرضه بكيانات انفصالية، أو كانتونات فيدرالية، لأن التراب السوري غير قابل للتجزئة، والهوية السورية الجامعة إنّما تأخذ صفتها من الانتماء للوطن قبل أي انتماء آخر.

وعلى الشركاء في الوطن من المكونات الاجتماعية السورية المتعددة، ولا سيما الكورد أن يدركوا هذه الحقائق، إضافة لحقائق أخرى تشير إلى أن أمريكا لن تغامر بعلاقتها الاستراتيجية مع دولة قوية مثل تركيا، لإنشاء كيان كردي انفصالي في الشمال السوري، الذي لن تسمح به تركيا مهما كانت الظروف.

فإنشاء «قنديل» ثانية على الحدود السورية أمر مستحيل، كما صرّح أردوغان، في إشارة إلى قواعد حزب العمال الكوردستاني في شمال العراق.

وإنّ واشنطن لن تسيء إلى قيم الديمقراطية التي تدعيها، بأن توافق على أن يتحول شريكها الكردي في محاربة الإرهاب إلى قوة احتلال، كما صرّح بذلك المنسق الأمريكي للتحالف الدولي ضد داعش «جون آلن».

وإنّ اعتماد الكورد على الروس لن يمنحهم أكثر من ممثلية دبلوماسية في موسكو، مقابل التضحية بعلاقتهم المصيرية مع الشعب السوري، والإساءة إلى حقوقهم التي يمكن مناقشتها في إطار المواطنية الكاملة وحقوق الإنسان.

## داعش تتسلل إلى تل أبيض و إعدامات في حمام التركمان

الحرمل ـ خاص

استطاع عدد من عناصر تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» التسلل إلى مدينة تل أبيض الحدودية، وتحصنوا في عدد من المواقع بهدف السيطرة على المدينة، بالتزامن مع استهداف حواجز قوات الحماية الشعبية بالسيارات المفخخة، وبعد اشتباكات عنيفة بين الطرفين، واستهداف مناطق تمركز عناصر داعش من قبل طيران التحالف الدولي في مبنى المركز الثقافي في تل أبيض، ومبنى آخر في بلدة عين العروس المتاخمة لمدينة تل أبيض، تمكنت قوات حماية الشعب من فرض سيطرتها ثانية على مدينة تل أبيض، بالتزامن مع حركة نزوح شهدتها المدينة باتجاه الحدود السورية التركية ومنطقة عين العرب (كوباني) شملت الكورد والعرب.

واستطاع عناصر التنظيم أن يسيطروا على بلدة حمام التركمان، وقرية الزيبقية، وجزء كبير من بلدة سلوك، وقاموا بسلسلة من الإعدامات الميدانية بحق عدد من أهالي بلدة حمام التركمان، فيما أجبروا نحو 70 عائلة من أهالي حمام التركمان بالخروج سيراً على الأقدام من البلدة، وسط حصار مطبق منذ عدّة أيام.

وأفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان على لسان مديره رامي عبد الرحمن، أن أعداد قتلى داعش تجاوزت السبعين شخصاً، فيما قُتل نحو 20 مقاتلاً من وحدة حماية الشعب وقوات الأسايش، فيما وردت أنباء عن استهداف طيران التحالف لمنزلين في موقع مجاور لمفرق عين العرب، واستشهاد عائلة بالكامل.

وتناقل ناشطون أنباءً عن قيام طيران التحالف بقصف محيط بلدة عين عيسى التي تشهد اشتباكات متواصلة بين جيش سوريا الديموقراطي وعناصر داعش، واستهداف قرية الغازلي شمال الرقة بنحو 50كم بأكثر من 50 غارة جوية، حيث تحولت القرية إلى أثر بعد عين، فيما قام عناصر من البيدا بتفجير جسر بريغي على نهر الجلاب، شرقي تل أبيض.

وفي الوقت الذي تشهد فيه منطقة شمال مدينة الرقة هذه الاشتباكات، واصل الطيران الروسي وطيران التحالف قصفه لمدينتي الرقة والطبقة بعدة غارات أسفرت عن وقوع عدد من الشهداء والجرحى في صفوف المدنيين.

## موسكو تروج للفيدرالية.. والمعارضة السورية ترفض؟!

الحرمل ـ خاص

لم يكن التصريح الذي أدلى به سيرجي ريابكوف نائب وزير الخارجية الروسي ظهر يوم الاثنين، الوحيد من نوعه، حيث قال فيه: «نأمل أن يتوصل المشاركون في المفاوضات السورية إلى فكرة إنشاء جمهورية فيدرالية». مضيفاً «أستبعد تطور الأحداث في سوريا وفق سيناريو كوسوفو، ولا بد من وضع معايير محددة للهيكلية السياسية في سوريا في المستقبل، تعتمد على وحدة أراضي البلاد بما في ذلك إنشاء جمهورية فيدرالية خلال المفاوضات».

وكان قد قال الخبير الروسي وأستاذ العلاقات الدولية ليونيد سوكيانين: «إن فكرة تشكيل اتحاد فيدرالي في سوريا، تم طرحها في السنوات الأخيرة في مختلف المحافل الدولية، سواء كانت رسمية أو بحثية».

ولكن ربما يكون تصريح جون كيري وزير الخارجية الأمريكي، هو أكثر من استثار مشاعر السوريين عندما قال في شهادته أمام الكونغرس: «ربما فات الأوان لإبقاء سوريا موحدة»، مؤكداً أن هناك خطة باء يمكن اللجوء إليها في حال فشل الحل السياسي، وانهارت صيغة المرحلة الانتقالية، وهي الخطة التي يبشر بها أيضاً وزير الخارجية السعودي عادل الجبير، دون الكشف عن مضمونها حتى الآن، والتي ربما تكون عصية على فهم الأطراف الإقليميين المتصارعين على الأرض السورية.

وفي حديث متصل، كشف معارضون سوريون أن المبعوث الأممي ديمستورا استشار بعض من ممثلي المعارضة السورية المتنوعة حول رأيهم بأن يكون شكل الدولة السورية فيدرالية، وأكدوا على وجود إجماع على رفض الفكرة، والتشديد على مركزية الدولة مستقبلاً.

# دير الزور غارات متواصلة للطيران الروسي
# اختطاف أمير الحسبة في بقرص والعثور على جثته مذبوحاً

دير الزور ـ الحرمل

استهدف الطيران الروسي مدينة دير الزور بأكثر من عشر غارات توزعت على أحياء العمال والحميدية والشيخ ياسين ودوار غسان عبود والمطار القديم والحويقة ومحيط جسر السياسية، ما أدى لوقع عدد من الشهداء وعشرات الجرحى، وتم تسوية منزلين بالأرض في حي الحميدية جراء قصفهما بصواريخ الطائرات الروسية.

من ناحية ثانية ما زال تنظيم داعش يشن حملة اعتقالات تطال شباب الريفين الشرقي والغربي، وتركزت خلال الساعات المنصرمة على مرتادي مقاهي الانترنت في بعض القرى التي سمح لها بفتح مقهى.

في ريف دير الزور الشرقي، أفاد نشطاء أن مجهولين قاموا باختطاف المدعو أبو صالح الجزراوي أمير الحسبة في قرية بقرص منذ عدة أيام، ولم يعلم بالموضوع إلا القليلين بسبب تكتم التنظيم على هذه الأخبار، وبعد صلاة الفجر وجد رأس الجزراوي بين قدميه، وقد علقت جثته على أحد محولات الكهرباء في أحد شوارع القرية العامة مع ورقة كتب عليها: «ذلك جزاء من يعتدي على نساء المنطقة»، لكن عناصر التنظيم قاموا بنقل الجثة إلى مكان مجهول. وعرف عن الجزراوي أنه يقوم بمضايقة كافة النساء بشكل مستمر، ويقوم بضربهن بعصا بحجة عدم الالتزام باللباس الشرعي، وقد دخل إلى منازل المدنيين مرات عدّة بحجة عدم ارتداء النساء النقاب الكامل داخل حدائق المنازل.

وفي ريف دير الزور الغربي، تم رصد وصول جثث لعناصر تنظيم داعش إلى قرية الخريطة، ممن قتلوا في معارك الشدادي، أما بالنسبة لحيي الجورة والقصور التي تقع ضمن المناطق الخاضعة لسيطرة النظام، فقد تعرضت للقصف بقذائف الهاون ما أدى لاستشهاد عدد من المدنيين وإصابة آخرين بجروح مختلفة، علماً أن هذه المناطق تعيش حالة من الحصار الدائم منذ أكثر من سنتين.

## انتصارات متتابعة لقوات المعارضة في ريفي حمص وحماة
## قوات النظام مدعومة بسلاح الجو الروسي تتراجع أمام صمود الثوار

عام «2016» كان هذا العام ومنذ بدايته عاماً دموياً وقاسياً على أهالي ريفي حمص وحماة، حيث بدأت قوات النظام السوري، مدعّمة بغطاء جوي روسي حملة اقتحامات على ريفي حمص الشمالي وحماة الجنوبي.

احكمت قوات الأسد السيطرة على ثلاث مناطق في محيط قرية «جنان» بريف حماة الجنوبي المتاخم لريف حمص في نهاية عام 2015، فيما استقدمت قوات المعارضة السورية تعزيزات لصد الحملة العسكرية التي تجهزها قوات الأسد، والتي يقودها ضباط روس على مستوى عالٍ من التدريب، بعد معارك شرسة خاضتها قوات المعارضة ضد النظام، تمكن النظام ومن والاه إحكام السيطرة على قرية جنان والرميلة وتمركز عدد من الأليات العسكرية داخل البلدتين، يذكر أن بلدة «جنان» (الدمينة) كانت آخر منفذ لإدخال المواد الغذائية والطبية إلى الريف الحمصي بعد إغلاق طريق «تيرمعلة-حمص»، توجهت بعدها كتائب النظام ودخلت إلى بلدة جرجيسة بالريف الجنوبي لحماة أيضاً والجدير بالذكر»أن بلدة جرجيسة تقع تحت سيطرت النظام أصلاً»، تمركز النظام في البلدة المذكورة وبدأ يعد العدة لشن هجوم على بلدة حربنفسه الملاصقة لجرجيسة وتقع شمال شرق الحولة المحاصرة، توجه مقاتلون من الحولة وعدة مدن بريف حمص منها تلبيسة والرستن وتحصنوا داخل حربنفسه، وهم ينتظرون النظام لبدء عملياته العسكرية.

في الثالث عشر من يناير الماضي بدأ النظام عملية الاقتحام، وكان الثوار له بالمرصاد، حيث كبدوه خسائر بالأرواح والعتاد، إضافة لاغتنام مضادات للطيران وأسلحة وذخائر بأعداد كبيرة، كل هذه دفعه لطلب مؤازرة من سلاح الجو الروسي، الذي قام بتنفيذ ما يقارب ألف غارة على بلدة حربنفسه خلال شهر يناير الماضي وحتى منتصف فبراير الجاري، وفي الوقت ذاته تمكن الثوار من السيطرة على ثكنة «معمل البشاكير» غربي حربنفسه، في حين استغل الثوار انشغال الأسد وأعوانه بالحرب الدائرة فقاموا بشن هجوم على بلدة الرميلة تمكنوا على إثره من اغتنام أسلحة وذخائر وتحرير قرية الرميلة ومداجنها، وفي تلبيسة أيضاً تمكنت حركة أحرار الشام الإسلامية بالاشتراك مع فيلق حمص من تحرير حاجز «عتون» أحد الحواجز التابعة لمعسكر ملوك (أكبر الثكنات العسكرية للنظام في حمص وريفها)، وقام الثوار بقتل عدد من قوات الأسد على ذلك الحاجز.

وبعد الفشل الذريع والهزيمة النكراء لجيش الأسد التي قابلها انتصارات لمقاتلي المعارضة، وبعد تلك الضربات التي وجهتها قوات المعارضة للنظام جعلته ينسى فكرة التقدم نحو تلك المناطق مرة أخرى، ولكنه ظلّ يقصف مدن ريف حمص وحماة بالطيران المروحي والحربي السوري والروسي إضافة للمدفعية الثقيلة وقذائف الهاون والصواريخ.

## في عيد الحب..
## يُقتل ويُهَجر السوريون بفعل الطيران الروسي

فيما العالم يحتفل بعيد الحب (فلنتاين) فإن الموت والتشريد هو مصير الآلاف من السوريين. فما زال الطيران الحربي الروسي يقوم بقصف مواقع في كافة مناطق سورية التي تسيطر عليها قوات المعارضة السورية، وخصوصاً في ريف حلب الشمالي القريب من الحدود التركية، حيث كثفت طائرات الحربي الروسي من عدد غاراتها خلال الأسبوعين الماضيين لتلك المنطقة من الشهر الثاني لعام 2016 وقد قتل في هذا اليوم الأحمر الذي لونه بلون الفالنتين ما لا يقل عن 50 قتيلاً معظمهم من الأطفال، ومن خلال الإحصاءات الأخيرة لعدد القتلى المدنيين من تلك الغارات تم توثيق 630 قتيلاً بينهم 280 طفلاً و190 امرأة حتى تاريخ اليوم، وبنفس السياق قالت منظمة الأمم المتحدة أنه تم نزوح أكثر من 70000 ألف مدني هربوا من القصف الروسي باتجاه الحدود التركية، والأعداد بازدياد مع عجز كامل من المنظمة لحل أزمة النازحين والمهجرين كما ذكرت.

وحسب مصادر وزارتي الدفاع والخارجية الروسية فإن المقاتلات الحربية الروسية تقوم بعملية تطهير للمناطق المسيطر عليها من قبل الإرهابيين، إن كان في ريف حلب أو في مناطق ريف حمص الشمالي، حيث يقطن في ريف حلب الشمالي أكثر من 250000 ألف نسمة، وهم عبارة عن سكان العديد من المدن والقرى وأهم اعتمادات أهلها اقتصادياً هي على الزراعة والتصدير للداخل التركي من خلال تلك المنتجات والبضائع كونها قريبة من الحدود.

# مرضى السكري في الرقة يستغيثون فهل من مجيب؟!

## واقع الرقة الصحي حصار يمنع دخول الدواء والغذاء

بشير الهويدي

تكفلت قوات النظام بتدمير البنى التحتية لمحافظة الرقة، بدءاً من خروجها عن سيطرته في ربيع عام 2013، ونال القطاع الصحي النصيب الأكبر من قصف الطائرات بأنواعها، والصواريخ البعيدة المدى، وقذائف المدافع والهاون والدبابات، وتحت ضربات القصف المتواصل، استمرت عمليات إعادة ترميم الأجزاء التي تعرضت للدمار على أيدي قوات الجيش الأسدي، لكن بدأ مؤشر الخدمات الطبية بالتدني والتراجع، نتيجة خروج أقسام من المشافي عن الخدمة، وخروج معظم المراكز الصحية عن الخدمة أيضاً نتيجة تعرضها لدمار شامل، إضافة لما يرد عن الناشطين بأن نقصاً هائلاً في الدواء، نتيجة تعرض الرقة لحصار، يشمل جميع المواد الأساسية، ومنها الدواء والمستلزمات الطبية.

بعد سيطرة داعش على عموم محافظة الرقة، تابع طيران النظام قصفه لمحافظة الرقة، ثم تكفل الطيران الروسي بتدمير ما تبقى من بنى تحتية في المحافظة، من خلال قصفهما المتتابع للجسور والمطاحن، ومراكز الكهرباء، والمياه، والصرف الصحي، والمخابز، وأقنية الري، والطرق، والمشافي والمراكز والمستوصفات الصحية، بغية قتل مقدرات المحافظة المادية والمعنوية.

### الواقع الصحي في الرقة قبل تحريرها..

بلغ عدد الأطباء العاملين في القطاع الصحي في محافظة الرقة نحو 850 طبيباً، فيما يتجاوز عدد المنتسبين لنقابة أطباء الرقة 1400 طبيب، عدد كبير منهم يتابع دراسة الاختصاص في مشافي القطر، أو في الدول الأوربية، وبلغ عدد المراكز الصحية والمستوصفات نحو 60 مركزاً، كما تم توسيع وتجهيز المراكز الصحية كاملة بالإضافة إلى بناء مركز للعيادات الشاملة ومركز للتوليد الطبيعي، وهذه المراكز المحدثة هي مراكز نموذجية تضم عيادات سنية ومخابر بالإضافة إلى خدمات الرعاية الصحية الأولية، وتم إعادة تأهيل المشفى الوطني بالرقة وتوسيعه، ويتضمن ملحقاً لزيادة عدد الأسرة من 320 إلى 420 سريراً إضافة إلى إحداث أقسام جديدة فيه.

كما تمت مباشرة العمل في مشفى الطبقة الوطني بدءاً من العام 2007 وهو مشفى عام سعته 200 سرير، ومباشرة العمل في مركز العيادات الشاملة، ويحتوي على كافة الاختصاصات الطبية، إضافة لوجود مشفى دار التوليد، وهو مخصص للاختصاصات النسائية، ووجود عدد من المشافي الخاصة، التي تعمل على مدار اليوم، ومستوصف لمنظمة الهلال الأحمر، يوفر الأدوية والعلاج بشكل مجاني، كما يوجد منظومة إسعاف تتجاوز عدد سيارتها الثلاثين، وهي مجهزة بشكل كامل لكافة الاحتياجات الإسعافية.

كل هذه الأعداد، والإمكانيات، لم توفر الخدمات الصحية المتكاملة للمحافظة، في ظل ندرة بعض الاختصاصات الطبية، كالأوعية والقلب والشرايين، والتخدير، والغدد، والجراحة النوعية، كالصدرية والدماغ والقلب، ورغم ذلك شهدت الرقة استيقاظ لبعض الأمراض كالسل، وانتشار جائحة الكوليرا، واللاشمانيا، والتهاب الكبد بأنواعها.

### الواقع الصحي في ظل سيطرة داعش.. صحة الناس في مهب الريح

بعد تعرض المشافي والمراكز الصحية للقصف فقدت الرقة عدداً من أطبائها، وممرضيها، كما حدث في قصف مشافي الطبقة، والرقة الوطني، والسلام، ودار التوليد، وتل أبيض، ومعدان، ورغم إعادة ترميم بعض هذه المواقع، وإعادتها للخدمة من جديد، ظلّ الواقع الطبي يشهد تراجعاً كبيراً، وجاءت داعش لتقضي على بصيص الأمل في إعادة ترتيب البيت الصحي، حيث قامت أولاً بمنع أطباء النسائية من مزاولة اختصاصهم، وانحصر هذا الاختصاص بالطبيبات، اللواتي لا يمتلكن الخبرة والدربة اللازمة، ونتيجة الضغط المتواصل والتضييق على عمل الكوادر الطبية، هاجر معظم أطباء الرقة باتجاه مدن الداخل أو إلى تركيا أو الدول الأوربية، بنسب تصل إلى أكثر من 60% وانخفض أداء المشافي العامة والخاصة إلى نحو 50% وغابت بشكل نهائي اختصاصات مثل الأوعية والجراحة الصدرية والعصبية، وبنسب ضعيفة اختصاصات الداخلية والتخدير والعظمية.

ويقول الطبيب ا ـ س (أحرف مستعارة): «في ظل هذا الواقع المتراجع، هناك صعوبة في تلقي العلاج لعدد كبير من الأمراض، ما يتطلب نقل المريض إلى خارج المحافظة، وهو ما يتطلب موافقة يستعصي على الكثير الحصول عليها في ظل التضييق الذي تشهده الرقة، وهنا حالات يتم نقلها إلى مدينتي منبج أو الميادين، وبالنسبة للمرضى والمصابين من عناصر داعش فيتم نقلهم إلى الموصل العراقية».

ويضيف: «صعوبة الانتقال إلى المناطق التي يسيطر عليها النظام لتلقي العلاج هناك، له أسباب عدة، أولها الخوف من اعتقال أمن النظام وشبيحته، وصعوبة الحصول على الموافقة من داعش، إضافة إلى كل ذلك الخروج إلى تركيا يحتاج إلى مال كثير، وهو ليس بمتناول الناس، وهناك بعض الحالات الإنسانية يتم إدخالها من البوابات الحدودية النظامية، وهي أيضاً تحتاج إلى وسطاء، وإجراءات معقدة».

ويؤكد أ ـ س أن المواد والمستلزمات الطبية والأدوية تجاوزت أسعارها المعقول، بسبب ندرتها، وتصل إلى خمسة أضعاف، وبعض الأنواع تصل إلى عشرة أضعاف ثمنها السابق، وقد تم تسجيل عدد من الوفيات السلية، التي ازدادت بشكل ملحوظ نتيجة عدم توفر الأدوية الخاصة بعلاج مرض السل في المشافي الوطنية أو المراكز الصحية المتخصصة، أما بالنسبة للعلاج الكيماوي لمرضى السرطان فيتم تأمينه تهريباً من مناطق النظام أو من تركيا، فيما يشير أحد الناشطين المتواجدين في مدينة الرقة إلى نقص حاد في الأدوية، خصوصاً أدوية الأطفال ومرضى السكري، ويشمل هذا جميع الصيدليات، وفي هذا الإطار أطلق أحد الناشطين نداءً، جاء فيه أن مرضى السكري في الرقة بحاجة لمادة الأنسولين فهل من مجيب؟! كما يوضح الناشط أ ـ م بأن النداء يجب أن يصل إلى أسماع العالم، والأهم أنّ الأطفال والنساء والشيوخ والرجال ليسوا كلهم داعش، وقد تم إعلان الحرب على المدنيين من أهلنا في الرقة قبل إعلانها على داعش.

ويشير الدكتور في حديثه إلى مسألة طارئة، غيرت الوقائع على الأرض، وهي تتعلق بانتقال الفعاليات الاقتصادية والطبية إلى مدن صغيرة في محيط مركز المدينة، كزور شمر والرشيد، حيث أصبح فيها أسواق تجارية، تحتوي صيدليات وعيادات طبية، وغيرها من الفعاليات التجارية.

ويؤكد أن منظومة الإسعاف ما زالت متوفرة في الرقة، لكن انحصر عملها إثر العمليات العسكرية الجوية أو الصاروخية، لنقل المصابين إلى المشافي، أما في حال إسعاف المريض، فيتم على الغالب نقله بسيارة خاصة إلى المشفى، علماً أن سيارات المنظومة قد تعرضت للقصف أكثر من مرة، ورغم أنه دعمت بعدد من سيارات الإسعاف من المنظمات، وهبات من متبرعين، أدخل معظمها إلى الرقة ناشطون ومناصرون للثورة، والتي استولت عليها داعش إبان سيطرتها على الرقة.

### حكاية أم محمود.. منع السفر من دون محرم والموت أوجب على المرأة من سفرها..

أم محمود امرأة خمسينية من الرقة، مصابة بسرطان الدم، وهي مثل كثيرات من المرضى حصلت على بطاقة حمراء، تجيز لها الانتقال بحرية من دون «محرم» عبر حواجز تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، وهذا لا يعني أن الأمور سهلة، ومن الممكن إعفائها من حرية الحركة، في آخر مرة تهيأت للسفر إلى دمشق، حاملة بطاقتها الحمراء، عبرت أكثر من حاجز، لكن عند حاجز الرصافة، تم إنزالها مع نساء أخريات يحملن تراخيص سفر لأسباب مختلفة، بحجة عدم وجود محرم، وباجتهاد فقهي من أمير الحاجز، يعتقد من خلاله أن الموت أوجب عليها من السفر إلى بلاد الكفار، ولو كان في سفرها إمكانية النجاة من المرض، وترك النسوة في العراء لمدة ساعتين، إلى أن منَّ الله عليهم بسيارة «بيك آب»، حملهم سائقها بصندوقها المكشوف وأعادهم إلى الطبقة.

### هل مرّت على الرقة جائحة أنفلونزا الخنازير..

في الوقت الذي أكد فيه سابقاً الدكتور محمد وجيه جمعة وزير الصحة في الحكومة السورية المؤقتة أن جميع حالات الوفاة الناجمة عن انتانات تنفسية عليا، ووقعت في المناطق المحررة تحمل اشتباه الإصابة بمرض انفلونزا الخنازير. وأنه لم يتم تأكيد التشخيص مخبرياً، والوزارة بانتظار نتائج التحليل المخبري، وقد استطعنا توثيق 24 حالة وفاة ناجمة عن الإنفلونزا، 14 منها في حلب وإدلب، و10 وفيات في الرقة وتل أبيض، وجميع هذه الحالات يشتبه أنها إنفلونزا الخنازير، ويصل عدد الحالات التي تشكو من إنتانات تنفسية عليا في المناطق المحررة التي تراجع المشافي إلى أكثر من 750 حالة أسبوعياً، مؤكداً أن تدبير الحالات الشديدة الخطورة في هذه المناطق متواضع جداً، حيث يحتاج أكثرها إلى مراكز عناية مشددة، وقد تكفل بقصفها الطيران الروسي، وقبله طيران النظام، حيث أخرج معظم المشافي عن الخدمة.

يقول الدكتور أ ـ س: «أتوقع أن موضوع الإصابات بمرض إنفلونزا الخنازير مبالغ به كثيراً، وبتقديري ومن خلال تواصلي مع عدد من أطباء الرقة ومخابرها، هي إنفلونزا عادية، ومن الشائع جداً حدوث وفيات نتيجة الاختلاطات الناجمة عن الإصابة بها».

ويقول: هناك أمراض أشد خطورة تنتشر الآن بكثرة، لعل مرض التهاب الكبد A الانتاني يأتي في مقدمتها، إضافة إلى تقلص فرص استشفاء مرضى الغسيل الكلوي نتيجة انخفاض عمل أقسام الكلية إلى النصف بسبب الأعمال الحربية التي تعرضت لها مشافي الرقة والطبقة وتل الأبيض الوطنية، وانعدام فرص نجاة مرضى التلاسيميا، وانخفاض فرص شفاء مرضى السل، وهذا الأخير تظهر تجلياته في أكثر من محيط، نتيجة انعدام النظافة، والاختلاط، وقلّة الدواء، والكشف المتأخر على المرض، وسوء التغذية وغيرها من المسببات الأخرى.

وبعد.. تعيش الرقة تحت وطأة القصف، من النظام والروس والإيرانيين، وفي ظلّ تعسف داعش، وجور حكمها وتشديدها على الناس في أمور المعيشة، واتخاذهم دروعاً بشرية، وانعدام فرص العمل، وندرة المال، وخروج معظم القطاع الزراعي عن الخدمة، ما يزال أهلها يعيشون مرارة الحياة، وهم مهددون يومياً في صحتهم ومعاشهم اليومي، فهل يستيقظ العالم ويعي مسؤولياته تجاه مدينة ظلمها النظام سابقاً، وما أهلها اليوم سوى دروع بشرية، يتربصهم الموت من كل جانب.

# ارتفاع الأسعار استنزاف لجيوب المواطنين في المناطق المحاصرة

عبد الكريم خشفة ـ تلبيسة

لم تكن معارك الاستنزاف على مدار السنوات الأخيرة في سوريا من نصيب الجيش الحر فقط، بل كان للحاضنة الشعبية نصيب منها، ففي العديد من المناطق الثائرة يخوض المدنيون معركة استنزاف على مستوى جيوبهم ضد النظام المجرم وتجار الحرب المستفيدين من هذه الأوضاع في ظل ارتفاع الأسعار الذي أصبح لا يطاق في الكثير من المناطق المحاصرة، خصوصاً ريف حمص الشمالي، فبعد أن أحكم النظام حصار الريف، وأغلق كل المنافذ والمعابر التي كانت تدخل منها البضائع والمواد التموينية، ارتفعت الأسعار إلى الضعف، وطال الارتفاع كل المواد التموينية والمحروقات، وخلال بحثنا عن الأسباب تحدثنا مع بعض المدنيين المحاصرين في الريف وقال «فروان» (رمز تعبيري): إن حصار النظام الجائر الذي لجأ إليه بعد فشله عسكرياً هو سبب رئيسي لارتفاع الأسعار، وقد سعى النظام لهذه الخطوات في سبيل أن يعيدنا إلى عصر الذل والعبودية.

وبما أن لكل حرب تجارها، فإن تجار الحرب المتعاملين مع النظام كانوا المستفيد الأول من رفع الأسعار، فبينما كان سكان الريف يذوقون الويلات تحت حالة شبه المحاصر، كان تجار الحرب يتحكمون بنوعية المواد وكمياتها التي تدخل إلى الريف حسب ما تقتضيه مصلحتهم دون أن يكترث لحال المدنيين، وأشار أحد العاملين في محلات البقالة إلى أن ما كان يحمي هؤلاء التجار هو أنهم يستطيعون إدخال المواد والبضائع إلى الريف وقال (إن تجار الحرب المعدودون على أصابع اليد في الريف يعتمدون على بث الإشاعات عن حصار قريب محكم ومحتمل، فيقبل الناس على شراء البضائع والمواد التموينية لفترة، ثم يقوم التجار بإخفاء بقية البضائع لفترة أخرى تغلق فيها منافذ الريف، وهي فترة تقدر بالأيام يهوج ويموج الناس خلالها، ثم يعاود طرح هذه المواد بعد رفع سعرها بحجة أنها دخلت عن طريق حواجز النظام بكلفة مرتفعة.

ولم يرتبط ارتفاع الأسعار بتجار الحرب فقط، بل كان للتجار العاديين دور أيضاً فقد ارتبط لديهم رفع سعر البضائع والمواد التموينية بقيمة الليرة السورية مقابل الدولار، فعندما ترتفع قيمة صرف الدولار مقابل الليرة ترتفع أسعار كل شيء يباع ويشترى، وعندما تنخفض قيمة صرفه مقابل الليرة فإن أسعار المواد الغذائية والتموينية والمحروقات وغيرها تبقى كما هي مرتفعة، ودائماً يكون التجار آخر من يعلم بانخفاض قيمة صرف الدولار مقابل الليرة، كما أشار صدام وهو أحد العاملين في المجال الصحي حيث قال: أحاول دائماً أن أذهب إلى المحلات التجارية عندما أتأكد من انخفاض قيمة صرف الدولار أمام الليرة، وذلك للحد من استنزاف جيبي، لكنني دائماً أتفاجأ عندما أرى الأسعار مرتفعة، ولم يطرأ عليها أي تغيير، وفي الكثير من الأحيان كنت أدخل في معارك كلامية مع التجار والباعة بهدف إقناعهم في تخفيض الأسعار مع هبوط أسعار الدولار، وكنت أربح أحياناً، وأخسر أحياناً أخرى بسبب جشع بعض التجار من ضعاف النفوس).

وبما أن النتيجة الطبيعية لارتفاع الأسعار في المناطق المحاصرة وشبه المحاصرة هي تعزيز الجوع والحرمان في المجتمع الثوري فإن هذا الارتفاع ربما سيؤدي يوماً إلى تفتيت الحاضنة الشعبية للثورة في الريف الحمصي إذا لم يتوفر لديها الوعي الكافي للتغلب على هذه المشكلة عبر تشكيل مؤسسات رقابية من رحم الثورة، وعبر السعي من قبل الفصائل العسكرية لفتح طرق إمداد باتجاه أقرب المناطق المحررة التي تتمتع بحدود مع الدول المناصرة للثورة.

# العيادات الطبية المتنقلة

إبراهيم إسماعيل

**تمتاز المناطق المحررة بنقص الكوادر الطبية وضعف المشافي الميدانية وانعدام الأدوية الطبية الضرورية للكثير من الأمراض المزمنة والأمراض المنتشرة بين الأطفال والنساء والشيوخ.**

كما تنتشر بين المخيمات والقرى النائية الكثير من الأمراض والآفات الصحية، التي تصيب وبكثرة الأطفال الصغار وحديثي الولادة، وذلك بسبب قلة المعلومات الطبية، وانعدام التوعية الصحية، والأدوية اللازمة لكل مرحلة من مراحل نمو الأطفال.

العيادات الطبية المتنقلة كانت كاستجابة نوعية لحل هذه المشاكل والمعضلات، مشروع مشترك بين منظمة أطباء عبر القارات PAC واتحاد منظمات الرعاية والإغاثة الطبية UOSSM وقد أتى هذا المشروع كاستجابة طارئة لحركة النزوح التي حدثت نتيجة القصف الذي طال مناطق عدة في ريف حلب وحماة وادلب. التحرك السريع والاستجابة السريعة جاءت من قبل المنظمتين الطبيتين من أجل تقديم يد العون لهؤلاء النازحين والمساهمة في تخفيف معاناتهم والحد من تفشي الأمراض والأوبئة المعدية.

تمثلت الاستجابة بتسيير ست عيادات طبية متنقلة على مساحة جغرافية واسعة في محافظتي إدلب وحلب والتي غطت في عملها قرابة الـ 40 قرية ومخيماً لجأ إليها النازحون، والتي تتمثل في المناطق التالية: ريف حلب الغربي الجنوبي، ريف سراقب الشرقي، ريف معرة النعمان الشرقي، ريف أبو الضهور الغربي، ريف إدلب الجنوبي، وريف أريحا الشرقي

يقول الدكتور «محمد مجد فحام» وهو مدير مشروع العيادات المتنقلة: «انطلق المشروع في الأول من شهر تشرين الثاني من العام 2015، حيث بلغ عدد المستفيدين من المشروع في الشهر الأول من انطلاقه أكثر من 12000 مستفيداً بنسبة تقدر بـ 85% منهم من النازحين»

استطاعت هذه العيادات المتنقلة تقديم خدمات أكثر تميزاً وتكاملاً حتى من مراكز الرعاية الصحية الأولية الثابتة، مستفيدة من الشراكة المتميزة بين المنظمتين الممولتين للمشروع، مسخرة خبراتها في هذا المجال لتقديم خدمات متكاملة من خلال الكوادر المدربة، وخدمات الاستشارة الطبية، وخدمات الصحة النفسية، وخدمات التغذية والعلاج الدوائي، وخدمات التوعية المجتمعية ونظام الإحالة.

كما أن هناك تعاون مع شبكة الإنذار المبكر والاستجابة للأوبئة Ewarn لمتابعة الحالات المرضية الوبائية المشتبه بها، والتي يتم رصدها من قبل أطباء العيادات المتنقلة أثناء عملهم في المناطق المذكورة آنفاً.

تتنقل العيادات الطبية عن طريق سيارات مجهزة بالأجهزة الطبية اللازمة والخفيفة، إضافة الى الصيدليات المتنقلة معهم، وخيم للمعاينات المرضية السريرية، وأطباء من الجنسين لتقديم الرعاية الطبية للنساء والرجال على حد سواء.

« أم أحمد» امرأة من ريف إدلب تلقت العلاج لدى العيادات المتنقلة تقول: «نحن هنا بعيدون عن المشافي والمستوصفات الطبية، ولا يوجد لدينا طبيب أو عيادة في القرية، والمسافة الطويلة والقصف العنيف منعني من الذهاب إلى مناطق أخرى لأحصل على العلاج، جزاهم الله كل خير، استطاع الأطباء في هذه العيادات أن يقدموا الرعاية اللازمة والأدوية والعناية الطبية».

يضيف الدكتور فحام: «من خلال هذه التجربة الرائدة في الاستجابة السريعة للكوارث والأزمات نرى ضرورة التعاون وتوحيد الجهود بين المنظمات الفاعلة في الداخل السوري لتكون أكثر فعالية وقدرة على تلبية الاحتياجات الملحة للنازحين وللناس الأكثر ضعفاً وفقراً في المناطق السورية».

يذكر أن المشاريع المماثلة لمشروع النقاط الطبية المتنقلة جرى العمل بها منذ مدة ليست ببعيدة في المناطق غير المخدمة بالمشافي الميدانية أو النقاط الطبية المدعومة، والذي استمر لفترة محدودة قبل توقفه بسبب انقطاع الدعم المادي عن المشروع، وعدم القدرة على تأمين مبالغ مالية تساعد في العمل لفترة أطول.

تفيد هذه العيادات الطبية المتنقلة في القرى والبلدات المتضررة والمحررة حديثاً، والتي تفتقر وبشكل كبير إلى أبسط أمور العناية الطبية، وعدم تواجد الكوادر المؤهلة لافتتاح مراكز طبية أو نقاط إسعاف فيها.

# حمص بين احتكار التجار وظلم النظام..!

م . ب - حمص

ريف حمص الشمالي على وشك دخوله العام السادس من عمر الثورة السورية، بعد خمس سنوات من الحصار والقتل والتدمير يستمر النظام بحملاته العسكرية سعياً منه إلى التقدم وتركيع الريف الحمصي بكافة الوسائل المتاحة.

بعد فشل الآلة العسكرية للنظام مدعّمة بغطاء جوي روسي التقدم نحو مناطق الثوار في شمال حمص جعلت النظام يتبع سياسة التجويع، حيث شدّد النظام السوري حصاره على مدن وبلدات ريف حمص، وذلك بإغلاق آخر منفذ لإدخال المواد الغذائية والتموينية إلى الريف المحرر منذ الثالث عشر من يناير الماضي، وأثناء زيارتنا لأحد الأسواق في منطقة سهل الحولة المحاصرة وجدنا معظم المحال التجارية شبه فارغة من البضاعة، وبعد تجولنا لبضع ساعات وجدنا «أحمد الخالد»، البائع المتجول الذي لم يعد يستطيع الاستمرار في عمله بسبب احتكار بعض التجار للبضاعة وإيقاف دخولها من قبل النظام.

يقول أحمد: «كنت أشتغل قبل الثورة في لبنان بالنجارة بعد ما منعت حواجز النظام الناس تطلع، وصارت تعتقل العالم أنا قعدت بالضيعة، وانضميت للجيش الحر بس الرواتب كل شهر بيعطونا 2500 أو 4000 شو بدون بكفوا وربطة الخبز حقا 300 ليرة ومانها موجودة والبركة بالتجار يلي احتكروا البضاعة لما سمعوا انو تسكرت الطرقات».

احتكار المواد كان سبباً آخر من أسباب اشتداد الأزمة الراهنة في ريف حمص عموماً، حيث الغلاء في المواد الغذائية، حيث شبه الأهالي التجار المحتكرين أنهم «عملاء للنظام»، وكان من المفترض منهم إخراج المواد في ظل هذا الشح الحالي، ويقول: «خالد اليوسف» أحد التجار الذين توقفوا عن العمل بعد أن أصبح التجار يدعون بـ«تجار الدماء»، إن كبار التجار أو ما بات يعرف بـ«تجار الدماء»، والذي يبلغ عددهم العشرين، وهم من أتباع النظام، حيث أنهم يخفون جزءاً من المواد ويظهرون الجزء الآخر بعد فقدانها، ويقومون برفع أسعارها حسب مزاجهم والشيء الوحيد الذي يمنع الفصائل المقاتلة من اعتقالهم أنهم يؤمنون المواد للأهالي المحاصرين».

وتقف المؤسسات والجمعيات الإغاثية شبه عاجزةً عن تغطية متطلبات الأهالي في ظل الحصار المطبق، وشح موارد الدعم الخارجي كان أحد الأسباب، يقول «أبو سليم» طالب جامعي بدأ العمل في أحد المؤسسات الخيرية: «أخي العزيز رغم الحصار ورغم القصف الروسي الذي لا يهدأ نحن نسعى لتوفير المواد الغذائية، لكن بسبب النقص في المواد المالية لا نستطيع تقديم المساعدات لأعداد كبيرة من المدنيين، ونحن نقتصر على تقديم المساعدات إلى الناس الأشد حاجة، وكما أننا تفاجأنا بارتفاع أسعار السلع الغذائية أضعاف مضاعفة، بعد إغلاق الطرق بيوم واحد أو يومين».

وقد وجه عدة مراكز ومكاتب إعلامية وإغاثية في ريف حمص نداءات استغاثة، تطالب من خلالها المجتمع الدولي للتحرك والمسارعة لفك حصار الريف الحمصي، ولكن لم تلقَ تلك الصرخات والنداءات آذاناً صاغية، ويخشى أهالي الريف من أن يصبح ريف حمص الشمالي «مضايا ثانية».

# النظام والطيران الروسي يخرقون «وقف إطلاق النار» في أكثر من مدينة بريف حمص في أول أيامه

**مهند بكور - حمص**

بدأت طائرات حربية روسية بشن هجماتها على مدينة تلبيسة بريف حمص الشمالي في الساعة التاسعة والنصف من مساء يوم الجمعة 26 فبراير قبل دخول هدنة وقف الأعمال العدائية في سوريا حيز التنفيذ، وبلغ عدد الاعتداءات 18 غارة أسفرت عن سقوط شهيدة وعدد من الجرحى بينهم أطفال.

في الساعة الثانية عشر من مساء «السبت»، وبعد بدء سريان الهدنة بين المعارضة السورية، وقوات النظام، قامت قوات النظام بقصف مدينة تلبيسة بعدة قذائف هاون، سقطت على الأحياء السكنية؛ دون أية إصابات، في حين ساد هدوء حذر على جبهات ريف حمص الشمالي حتى الساعة الثامنة ونصف صباحاً، حيث استهدفت قوات النظام مدينة الرستن بالرشاشات الثقيلة، كان مصدرها كتيبة الهندسة شمالي المدينة ليكون الخرق الثاني للهدنة.

وفي الساعة الحادية عشر صباحاً سجل الخرق الثالث للهدنة، باستهداف بلدة الغنطو بقذيفتي

هاون سقطتا شمالي البلدة، بعدها بساعات سجل عبور سرب من الطيران الحربي الروسي مؤلف من «خمس طائرات حربية روسية وطائرة نقل عسكرية من نوع يوشن» عبرت أجواء من منطقة الحولة المحاصرة نحو مطار حميميم العسكري في اللاذقية معقل الروس.

وفي تمام الساعة الثانية وعشر دقائق سجل الخرق الرابع في ريف حمص، حيث استهدفت قوات الأسد المتمركزة في «الفرقة 26» قرية تيرمعلة بقذائف الدبابات، وفي الساعة السادسة وعشر دقائق سجل الخرق الخامس في مدينة الرستن باستهداف وسط المدينة بقذائف الهاون من العيار الثقيل مصدرها حاجز كتيبة الهندسة شمالي الرستن.

الهدنة التي ترعاها روسيا وأمريكا لا يتأمل منها السوريون شيئاً، فهم تعايشوا مع إجرام الأسد وحليفيه الروس والإيرانيين، لذلك لن تأتي بجديد للشعب السوري، وسيتابع القتلة مسلسل قتلهم اليومي لكن هذه المرة برعاية وغطاء دوليين، وسترتفع قائمة الشهداء، وتزداد القوة التدميرية في دك معاقل المدنيين العزل في كل مكان من سوريا.

## الحرملي

# شكراً تركيا ولكن جنّة بالذل لا نرضى بها

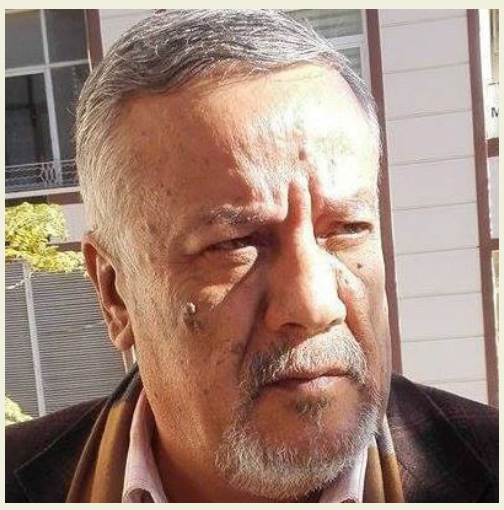

**يوسف دعيس**

استناداً إلى الحديث الصحيح الذي ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يقول فيه: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»، وتحت شعار مقابلة الإحسان بالإحسان، نقول لتركيا شكراً تركيا من القلب، فقد كنتم خير من احتضن إخوتكم من السوريين، إذا ما قيست أعمالكم بنظائركم إخواننا العرب، وجميلكم لن ننساه ما حيينا فقد وفرتم لنا الأمن والأمان بعد أن طالنا ظلم واستبداد النظام الأسدي، وتغوله وشبيحته وأعوانه بدماء السوريين، إضافة إلى أنصاره من الروس والإيرانيين، وحزب الله، وميليشيات الحقد الطائفي.

شكراً لأنكم احتضنتم وآويتم جزءاً كبيراً من السوريين تجاوز المليونين.

وإذ نقدر حرصكم على أمنكم المجتمعي، فهذا لا يعني أن تضعونا في سجن كبير داخل المدن، وتمنعوا عنّا حرية الحركة باتجاه المدن التركية الأخرى، فليس من المعقول أن يتم إنزال مريضة من الحافلة كانت ذاهبة إلى عينتاب لتلقي العلاج، وإجبار سيارة تقل أعضاء المجلس المحلي لمحافظة الرقة للعودة إلى أورفا بعد أن تجاوزوا بيراجيك، وليس من اللائق بكم أن يقف على أعتاب مقر ولاية أورفا طابور من المراجعين السوريين يريدون الحصول على موافقة للسفر إلى استنبول أو أنقرا لقضاء حوائجهم، تحت دعاوى منعهم من ركوب البحر في إشارة لاتخاذ السوريين طريق البحر تهريباً إلى أوربا.

لا نريد أن نكون عبئاً على الأتراك في لجوئنا، علماً أننا لم نحصل في المطلق على صفة اللاجئ التي تعطي اللاجئ حقوق العيش بكرامة، وبات الواحد منّا يحس بأنه يسرق الهواء من الأتراك، ويصادر حريتهم، وينغص عيشهم.

هذا هو حال السوريين منذ شهور عدّة، فهم يعانون الأمرين في تجاوز الحدود التركية، فإن نجا أحدهم من بنادق الجندرما، يتم ابتزازه بالعبور، ويدفع الغالي والنفيس، وإن تسنى له الوصول إلى برّ الأمان، فعليه رحمة الله إن تلقفته أيدٍ أمينة بالهلال الأحمر، وغير ذلك فهو ينتظر إغاثة أهله في دول الخليج أو المغترب.

يجري هنا تداول عبارات رنانة عن إغاثة السوريين بدءاً من بطاقات المول، والمنظمات المختلفة، لكن بالمطلق هناك أعداد تصل إلى أكثر من 50% لا تعرف معنى الإغاثة، فهي منذ قدومها إلى تركيا لم تحصل على شيء.

أريد أن أسر لكم، صدقوني إن معظم العاملين في إغاثة السوريين هم من الأتراك. إذاً ما الذي يجري، أين تذهب كل هذه الأموال، التي تدعي الدول والمنظمات إنها أدخلتها إلى تركيا لإغاثة السوريين؟ من المؤكد أنها لا تتلف ولا يمكن لها أن تتبخر بالهواء، وعود على بدء نرجو من الحكومة التركية أن تعيد النظر بقراراتها المتعلقة بحركة السوريين، وأن تطلق يدها في التحقيق بمقتل السوريين المدنيين على حدودها، وحتى يكون للشكر معنى آخر، ننتظر منهم حلولاً عاجلة وعادلة.

السنة الثانية / العدد 35 / 01 آذار 2016
الحرمل www.alharmal.com

# وعي الضحيّة (1)

المغيرة الهويدي

كان صوتي قد ارتفعَ قليلًا عندما قلت بألمٍ مشوبٍ بالتحدّي:

- ولكنني ضحيّة!

تلقى صديقي وصفي لنفسي باستغرابٍ سرعان ما تحوّل إلى استهجانٍ في انقباض ملامحه. أدرت إصبعي على حواف فنجان القهوة أمامي، ورحت أرسم دوائر بحركة سريعة. رشفت رشفات سريعة ومتلاحقة غير مكترثٍ لسخونة القهوة التي لذعت لساني.

- هل تعرف ما معنى أن تكون ضحيّة؟

أراد أن يتحدّث، لكنني قاطعته قائلاً:

**- أنا ضحيّة يا صديقي. نحن السوريين ضحايا!**

عندما عدت إلى البيت، جلست أحدث نفسي بردّي الذي جاء عصبياً ونزقاً على حديث صديقي في المقهى هنا في الكويت. كان يحدثني عن زيارته لإسطنبول، عن الفندق المطلّ على ساحة تقسيم. والإفطار الملكي الذي تناوله في شرفة الفندق المطلّة على الساحة حسب ما فهمت. عن توست الخبز المدهون بالقشدة ومربى المشمش، وعن نظرة الطفل السوري الصغير الذي كان يقف مع أمّه وإخوته في الساحة ينظرون ببؤس إلى جهةٍ ما، وكأنّ خلاصهم من ضياعهم في ذلك الصباح مرهون بقدوم أحدٍ ما من تلك الجهة. حدثني عن غصّته وارتباكه والمسافة بين فمه وخبز التوست، بين فمه وعينه، وبين عينه وعين الطفل الذي كان ينظر إليه. قال لي: إنّه أحس بالعار، ولم يستطع أن يكمل إفطاره. مع ذلك فإنّه لم ينزل إلى الطفل ليقدم له خبز التوست الشهي.

ورغم حرصي الشديد على عدم التّحدث عن معاناتنا أمام الآخرين، وصمتي في مثل هذه المواقف ومواقف أخرى عندما تأتيني رسائل الواتساب من حملات إغاثة للاجئين السوريين. عن الأكشاك التي تبيع الطعام المنزلي ليعود ريعها للاجئين. عن عجزي الدائم عن شرح وجع أكبر من الشرح، وجع يُحسّ ويدرك أكثر من حاجته إلى التأويل. أقول رغم حرصي النابع من حقيقة أنني وبشكلٍ آخر أخٌ كبيرٌ أو أبٌ لهذا الطفل الواقف في تلك الساحة، حرصي المعتّق بوجع رصين يحسّ بتقاطع نظراتنا وارتجاف شفتينا دون أن نقول شيئاً. إنّه وجع معتق فوق الكلمات.

رحت أحدثه عن حقيقة أننا ضحايا. أسهبت في الشرح قبل أن أنتبه لنفسي فأنتقدها على إسرافها في التفصيل أمام وجعٍ لا يحتمل الإطناب، لكنني نهضت بعد أن قلت له:

- نحن واعون تماماً لحقيقة أننا ضحايا.

ولكن، هل نحن واعون بالفعل لحقيقة أننا ضحايا؟

والسؤال الأهم: لماذا يجب علينا أن نحدّد موقعنا في هذه المأساة؟ ما الغاية من أن نكون ضحايا؟ لكنني دفعت بالإجابة عندما ألقيت سؤالاً آخر: إذا لم نكن ضحايا فمن نحن؟ قتلة؟

يبدو ولوقت طويلٍ أنّ كلمة ضحيّة مقرونة بالضعف والهوان والغفلة، كلمة ربّما انزاحت بمعناها الدلالي لتصل بنا أبعد من منظر غزال ينقضّ عليه أسدٌ مفترس. ربّما لتصل بنا إلى عمق أبعد بكثير من ذلك يغوص بنا إلى ثقافتنا التي ترسّخت خلال عقود طويلة أو ربما قرون، ثقافة تجعل الضحيّة مدانة بالضعف، مقرونة بالعجز عن ردّ الظلم في واقع لم يكن فيه مهماً أن تكون صاحب حقٍّ بالقدر الذي يجب أن تكون فيه صاحب قوّة وجاه، وتعمّق هذا المفهوم في دولةٍ أصبحت اليد العليا فيها هي اليد التي تبطش وتعتقل وتعذب وتقتل وتنهب...

والتعاطف الذي تتلقاه الضحيّة في الغالب يكون تعاطفاً سطحياً هامشياً، كأن تجد يداً ترتفع بالدعاء لك، أو تطلب القصاص من الظالم بظالم أكثر إجراماً. لكنّ هذا لا يغير في حقيقة أنّك ضعيف ومُهان؛ لأنّك ضحيّة! أمرٌ واحدٌ يمكن أن يغيّر من هذه الحقيقة هو أن تتجرّد الضحية من تعريفها لتثبَ إلى صف القتلة، فتحصد إعجاب المجموع دون الالتفات إلى مشروعية ما اقترفته طالما أنّها وفي النهاية، ردّت الظالم وانتصرت لنفسها.

«هذا منطق خاطئ» أقولها بإيمانٍ راسخ بنبل الضحيّة، قد يتساءل أحد ما:

- كيف نكون واعين لحقيقة أننا ضحايا؟ ثمّ ما نفع هذا الوعي إذا كان العالم قد قرّر سلفاً أننا كذلك؟ العالم لم يقرر أنّنا ضحايا، هو يزعم أنّنا كذلك، لكنّه يفعل عكس ذلك. إنّه يتعامل معنا كقتلة سفلة أو إرهابيين يستحقون الموت. القصف والتدمير المنهج، الأبواب التي تُسدّ في وجه السوريين بوصفهم أحزمة ناسفة، الحملات الانتخابية التي ترفع لافتات تطالب بطرد السوريين بوصفهم عقداً نفسيةً متحركة، التململ العام من حملات الإغاثة والإحساس بثقل المسؤولية لنصرة الشعب السوري، تعليق الاضطرابات والمشاكل الداخلية على حامل القضية السورية، وكأننا مسؤولون عن كلّ تفجير يحدث في هذا العالم، وفي كل تفجير يمتدّ إصبع اتّهام يبحث عن سوري ليعلّق على ظهره مسببات ونتائج تلك الإعمال الإجرامية. ويمكن لأي واحد منّا وأظنها تحدث مع الكثير، أن ينتظر تفصيل خبر عاجلٍ عن تفجير ما، كمن ينتظر نتيجة امتحان صعب كان قد خاضه، يدعو في سرّه ألا يكون الفاعل سورياً، ثم إذا كان من إحدى المنظمات الإرهابية حسب نعت الأمم المتحدة، أُرفق إجرامه بجنسيته السورية.

ولو كان الأمر بي لطلبت من الجميع أن يجلس مع نفسه وقتاً كافياً ليعي فيه أنّه ضحيّة لما حدث ويحدث، ولطلبت من الجميع أيضاً أن يفكّر بإجابة عن سؤالٍ واحدٍ:

- إذا كنّا ضحايا، ونحن كذلك، ماذا يجب أن نفعل كي لا نصير قتلة؟

# الفوضى للفوضى

عصام حقي

**إن اتفاق القوى العظمى مع إيران مؤخراً في ما يسمى «الاتفاق النووي» ما هو إلا حلقة من سلسلة حلقات مخطط عالمي مرسوم بدقة لتشكيل العالم بما يتوافق والرؤية الأمريكية للعالم، أو لتشكيله بنموذج مغاير أطلق عليه اصطلاحاً «الشرق الأوسط الكبير أو الجديد لاحقاً»**

وإزاء هذا كان لا بد من صنع إيران بشكل جديد، بشكل إيران الطائفية، والتضحية بالتالي بشاه بهلوي الصديق القديم والمخلص للولايات المتحدة، والإطاحة بإمبراطوريته التاريخية.

فوجود إيران الجديدة (الشيعية) ضروري لاستخدامها كمحرك للفتن الطائفية النائمة، والتي لا عامل مثلها يستطيع إحداث الخراب في هذه المنطقة الممتدة من باكستان شرقاً إلى الأطلسي غرباً.

غادر الشاه تاجه، وانكفأ على نفسه لاجئاً لدى السادات، الصديق الآخر للولايات المتحدة، والذي سيتجرع نفس الكأس على مائدة اللعبة المتقدمة نحونا بهدوء، والمرسومة بعناية منقطعة النظير منذ أمد بعيد.

ولا شك بأن هذه الألغام الطائفية مزروعة في المنطقة منذ أكثر من ألف سنة، ولن يثير الفوضى والخراب في الشرق الأوسط غير تفجير أحدها، لحرق المنطقة، وإعادة تشكيلها بالفوضى التي أطلقوا عليها زوراً (الخلاقة)، والتي أعلنتها حينئذ وزيرة الخارجية ذائعة الصيت، كونداليزا رايس، والتي خيل للكثيرين أنها بمصطلحها الطريف هذا كانت تتهكم، لتحذر العرب وغيرهم من أحداث قادمة لا تعدو كونها احتجاجات شعبية محدودة، تنتهي غالباً ببعض المصالحات والمكافآت، والعودة بعدئذ إلى المعسكرات القديمة التي كانت مهيمنة على حياتهم السياسية المعتادة.

لقد كانت اللعبة أكبر وأخطر مما تصور الجميع، وأكبر حتى من تصور أولئك الذين وضعوها، وخططوا لمراحلها، إذ كانت قواعد اللعبة تقتضي ضربات مميتة سميت بالاستباقية، ونالت أولاً من أفغانستان باحتلالها وبقتل شعبها بذريعة محاربة القاعدة التي هي أصلاً جزء لا يتجزأ من أركان اللعبة، والانطلاق منها للاقتراب من المنطقة العربية عبر الجسر الإيراني الذي - كما أسلفنا - أُعدّ مسبقا لتنفيذ الخراب القادم في اللحظة الموعودة.

بدأ الاتجاه نحو الدول العربية باختلاق كذبة امتلاك العراق أسلحة دمار شامل، أثبتت الولايات المتحدة نفسها فيما بعد اختراع الكذبة لاحتلال العراق، وقتل أكثر من مليون من شعبه، كما جاء في اعتذار (كولن باول) عن كذبته أمام مجلس الأمن، ولكن بعد انهيار الدولة، وتسليم كامل مفاتيحها كهدية أولى لإيران جزاء خدماتها المتوالية، والسير بالمخطط كما أوحي إليها به.

بانتهاء العراق شيعية الهوى والنظام، بدأت إيران تنفيذ الخطوات اللاحقة من مشروع الفوضى المشار إليه، بدءاً من تدمير ليبيا واليمن، وسورية، وحتى لبنان الذي دمروه باحتلال مقنّع، وبتفريغه من شكل دولة حضارية مستقرة إلى كيان محتل احتلالاً إيرانياً واضح المعالم عبر ميلشياتها في الضاحية الجنوبية من بيروت.

إن أوباما سيغادر ولايته في البيت الأبيض وقد قدم للعالم (خراباً خلاقاً) في ظل مجموعة ثمينة من الهدايا التي تتلخص فيما يأتي:

- تقديم إيران كنظام مسالم نووياً، وكآلة رعب ودمار شامل بالنسبة للمنطقة العربية كافة. بالإضافة إلى كونها النموذج المقبول للدولة الدينية التي ستتخذها إسرائيل ذريعة لإعلان دولتها اليهودية التي طال انتظارها لها، والتي ربما تكون ذريعة أيضاً للعديد من الأقليات الموجودة في المنطقة لتكوين دويلات شوهاء مستقلة ذاتياً.

- تقديم روسيا بوصفها دولة عصابات عظمى مستعدة للتدخل السريع، ضد الشعوب الثائرة وإعادة الاعتبار لأنظمة الاستبداد والطغيان في العالم.

لكن الذاكرة المودّعة للبيت الأبيض غفلت عن حقيقتين أساسيتين:

أولاهما: أن نضال الشعوب عبر التاريخ يؤكد انتصارها في النهاية، وإن تباطأت الانتصارات قليلاً.

وثانيهما: أن وقوف معظم دول العالم موقف المتفرج على النزيف السوري يعني مساندتها للباطل ضد الحق في معركة الحياة، وبالتالي وقوفها ضد الحياة ذاتها.

وكما قال فرانسيس بيكون: إن الوقوف على الحياد في الصراع بين القوي والضعيف، لا يعني الحياد، لكنه يعني الوقوف مع القوي..!

# إشكالية الهويات الطارئة وحياكة نسيجها الواهي على حساب المكان وثقافته العربيّة

محمد صالح عويد

الهويات الطارئة التي تصرخ خلال مصائب الأوطانِ تعاني من أزمة، وإشكالية إثبات وجود، وتحتاج عبر هياجها المشحون (بفياغرا) الغرباء لتأكيد حضورها الهشّ أصلاً، لكنها لاحقاً، وحينَ ينقشعُ غبار حوافرِها تسقط في هاوية الخراب التي افتعلتها تلك الحوافر ذاتها دون بعد نظر، بل تهافتت ضحالةً في قراءة تفاصيل التاريخ، واستقراء حقيقة ما يمكن أن تنتهي إليه هاوية المستقبل القريب. لا حياة تنادي عليك في شبحِ هذه المدائنِ الغارقة في اتشاح السواد على اتساع الأفق المتسربل بأدخنةِ الغدر التي تركضُ لاهثةً والوطنُ السوري طفل يتيم «داشر» في دائرةِ طباشير أمريكية، يتابعون امتداد برامجهم لترويض المكان، ولجمِ روح التاريخ الموغل الهازئ بما يتمّ حياكتهُ على نولِ الأعداء، بينما عباءة المكان العربية التي ورثتها عن جلجامش السومري وأوتنابيشتم الذي نال تقاعده بديلمون السومرية - مُثخنة بالجراح، بالأحقاد الإثنية- الدينية المُفتعلة، بحيث تتحول كل منطقة إلى مزرعةِ ألغام تُنبِتُ غداً حروباً مُستعرة تتفتّحُ أزهار شرورها حسب رغبة السقّائين الدوليين.

هنا يجب أن يتنبّه الجميع بأننا نخضع بلا اختيارِ لحروب الآخرين القائمة فعلياً، وتلك المؤجّلة تختلس إلينا النظر من شقوقِ أبوابنا المهترئة، مفاتيحها بعيدة عن متناول عقولنا ونضوجنا الإنساني، وستكون الأثمانُ مُضاعفة عما نتجَ مبدئياً عن معركة التحرر من الاستبداد، ولاحقاً من الاحتلالات الداعمة لهُ، والساعية تماماً لإعادة إنتاجهُ للحفاظِ أولاً على أمنِ إسرائيل، ومصالح مافيات حُكّام العالم، والسعي لتحويل المنطقة لمستنقع إمبراطوري - فارسي بغيض يمتهن دور شرطي المنطقة المتربّص، ولن يستثني أحداً من خناجر الثأر التاريخي الذي تأسّسَ بحلفِ تاريخي عتيق بزواج /كورش - إستير/، ولن يوفروا من خناجرهم المسمومة لأيٍ من أحفاد سركون الأكادي ونبوخذ نصر، وليس انتهاءً بقادسية سعد بن أبي وقّاص.

علينا التنبّه لاسيما في الحالة الوطنية التي قامت على يد الأغلبية العربية - السنيّة السورية كحامل حقيقي ومؤمن بالوطن وتلويناته وبعد 1920 تحديداً أي بعد تمزيقنا المنهج والمدروس قبل قرنٍ مضى من خلال سايكس - بيكو والمخطط له مسبقاً عبر وثائق مؤتمر كامبل 1905-1907.

حيث ظهر اتفاق جمعي بديهي حول قيمة وأصول الهوية والانتماء الوطني للأرض وفق معايير إنسانية وجغرافية راقية طرحتها الثورة السورية العظيمة منذ انطلاق شرارتها الأولى بآذار 2011 وهكذا دون أي موارية لاسيما فيما تعتلج سورية الأم في رحمها ومهجتها الكثير من التلوينات الإثنية الرائعة، وكلنا يعلم في أساسيات علم اللسانيات / اللغة/ والرياضيات والكيمياء دائماً يتمّ في تفسير وتحليل أي مصطلح أو رقم أو معادلة بالعودة أولاً للجذر -الأصل- أو الأسّ أو المعدن الأساس قبل دخول الحمض عليه وتلوينه وتشعُّب جمالهِ وتعدد خِصالهِ المُستجِدة.

لماذا يغضب ويهيج ويرتفع صراخ الإخوة الأكراد السوريين تماماً مثلنا حين نقول: إنّ عمق وثقافة سورية والعراق هي عربية صِرفة تحسّنت بحضورهم وأنهم وردوا عبر هجرات متعاقبة مختلفة الأسباب تاريخياً، وسكنوا شمال بلاد الرافدين قادمين من شمال إيران كذلك في شمال وشرق سورية، وهذا ما تثبته كل الوقائع والحفريات التاريخية، والتي قام بها وتحدّث عنها علماء ورحالة غربيون، وهذا متوفر لكل من يريد أن يقرأ، ولا ينزلق لدعوات عرقية بغيضة تؤذي الجميع دون أن يكلّف المنزلقين أنفسهم عناء القراءة والبحث التاريخي ليتعاملوا مع الأمر برحابة صدر، ويعتنوا معنا جنباً إلى جنب بترميم الهوية الوطنية التي هشمها الاستبداد، ولا زال يفعل عبر أدوات بغيضة ومن الطرفين تارة باستخدام بندقية عرقية - مأجورة صرفة تصادر رؤية ومواقف الإخوة الأكراد وتارة تحت راية دينية – داعش- وجبهة النصرة، للدفع بالجميع لأتون الاقتتال، بينما يتخلّص من الثورة الراقية الهادفة لإسقاطه عن كاهل الجميع، وهو بكل أسف نجح لحدٍّ كبير بتحويلنا لمجرد متخندقين أغبياء.

فحين نقول: إن سورية هي أرض وامتداد للعروبة بسبب أسّها وحاضنتها البشرية العامة عبر التاريخ، وعمقها التاريخي والجغرافي فهذا لا يعني أبداً الامتهان أو التقليل من قيمة وضرورات ما لحق بها من حسنٍ وجمال بإضافات تمّت عبر مراحل تاريخية متعددة من الهجرات والنزوح واللجوء لها من أطياف بظروف مختلفة حيثُ تمّ احتضانهم واستقبالهم بكل الودّ، وتمّت معاملتهم بنديّة نادرة، ومساواتهم بالحقوق والواجبات، ولم يكن هناك أمامهم عوائق أو حواجز شائكة سياسية أو اجتماعية أو فكرية أو دينية وعرقية ما عرفناها إلّا بعهد حكم البعث الاستبدادي، والذي يتمّ الآن بكل سذاجة القيّاس عليه من قبل الأقليات العرقية والدينية والمذهبية، وهو الذي تمّ امتطاؤه بوليسياً بسورية كما العراق وكأنها خطّة ممنهجة ومدروسة لخلق حالة شرذمة، وفصل عنصري عمودي منهجي في عموم الدولتين التوأمين السياميين اللذين تمّ فصلهما مسبقاً، ولا يجب أن يفوتنا المنهج المدروس حين نتلمّس أن المكتب الثاني بعهد السرّاج كان له يد طولى في تأسيس أول الأحزاب الكردية العرقية الخاصّة بسورية، وتوازى هذا تماماً مع الدعوات القومية الشوفينية عربياً على يد البوليس الفكري البعثي.. وهل لنا إلّا أن نقف ونتأمل ونراجع بهدوء ونتساءل بقليل من الرويّة عن المستفيد النهائي من كل ما جرى ويجري ولا زال حتى الآن والجواب بسيط: أمن الدولة الصهيونية أولاً، واستمرار تأمين رفاهية وأمن استراتيجي للغرب الصناعي، ثم وضع هذه الجغرافيا تحديداً تحت سيف الاستبداد الأبدي والتجهيّل والتدمير الممنهج لأي نهوض فكري يعنى بالحرية والديمقراطية والمدنية لأن الأرومة التاريخية والعمق الحضاري هنا - تحديداً - مدروس بعناية وهو يشكل هاجساً تاريخياً بأن أبناء هذه الجغرافيا والتاريخ قادرون بأي لحظة النهوض، ويمتلكون في جيناتهم وثقافتهم العميقة رؤية بعيدة المدى لقيام دولة قوية، وقيادة بقية المنطقة الهشّة وتحويلها لقوّة توقف الانحناء والانصياع والخنوع لإرادات غريبة تبدأ إقليمياً - فارسياً - ولا تنتهي بكواليس السياسة البراغماتية التدميرية، البريطانية ووريثتها الأمريكية.

أتساءل هنا بكل هدوء: هل توصيف الحقيقة وذكر تفاصيل تاريخية بسيطة وموثّقة علمياً ودولياً وانثروبولوجياً هو إهانة لأحدٍ ما نال جنسية هذه الجغرافيا، وعاش عليها عبر مئات السنين؟! هل أغضب حين يقول أحد الإخوة الأمازيغ: أنهم أصحاب تاريخيون للأرض في المغرب العربي، وهم ذاتهم أكثر من يعتزّ بالثقافة العربية الإسلامية، وأكثر من ضحّى ودافع عنها تاريخياً، كما نعتزّ نحن بإنجازاتهم التاريخية الحاضرة حتى الساعة على كل الأصعدة، ولم نجدهم بلحظة واحدة يستعينوا بالاستعمار الفرنسي أو الإسباني أو الإيطالي خلال القرنين 19-20 لإعلان دولتهم العرقية أو ذات الثقافة الأمازيغية الخالصة ونجدهم أكثر المنافحين المضحّين كما أسلفنا..؟!

هل يغضب الإخوة الأرمن - الشركس - الشيشان - الداغستانيون - الألبان - اليهود والذين نزحوا كما أسلفنا عبر التاريخ وسكنوا ونالوا جنسية سورية والعراق أو هل يشعرون بالعار حين يسألهم سائلٌ عن ذِكرِ بلادهم الأصلية؟ وهل يتمّ الانتقاص من قيمة هويتهم وانتمائهم وحبهم لهذه البلاد؟ وهل قمعت الأغلبية العربية ثقافتهم وخصوصيتهم عبر تاريخ حضورهم، طبعاً بعد شطب الحقبة البعثية، التعسفية البوليسية التي كانت ملكاً عضوضاً طائفياً، والتي يحلو لكثير من الخرّاصين باعتبارها ترمومتر ومقياس لتقييم قيمة وأخلاق الأغلبية، ويحاولون من خلالها تقزيم ثقافة البلاد التاريخية والجميع مُتفق بخصوص هذه المرحلة السوداء وعلى استنكارها وسياساتها وآثارها، وثار الجميع كما يُفترض لإزاحتها عن وجه سورية، وعن كاهل أهلها عموماً لاسترجاع رقي ثقافتنا العربية الجامعة، بعيداً عن أي شوفينية أو عنصرية نرفضها كأبناء لها، كما يرفضها أي طيف سوري آخر.

هل نقبل بعمومنا كسوريين من الإخوة العرب السوريين: الدروز أو الإسماعيليين أو النصيريين أو الشيعة أو الإيزيديين أن يطالبوا مثلاً بتشليخ سورية وإقامة كانتونات خاصة نقيّة مذهبياً لهم على أنقاض الوطن المُستهدف بسبب ثورتنا، من حكومات مرتزقة المحيط الإقليمي وكل ضباع العالم؟!

هل كان يجب على العرب السوريين بعمومهم أن يندفعوا بمقدمة الجموع الثائرة لتحرير وطنهم من نير الاستبداد المؤبّد لنجد لاحقاً بقية ضحلة وبائسة من أطياف عرقية، ومذهبية تنسلّ مُتنصّلة من مسؤولياتها التاريخية بعد أن اطمئنوا لتورّط الأغلبية العربية السُنيّة، ونجد تنقّل تلك الأطياف على حبال اللعبة الإقليمية والدولية بخبثٍ، وبين الغامَ الثورة والمروق عن واجبهم الوطني المطلوب والمُفترض، لتدفع الأغلبية الضريبة الأبهض والأكثر قسوة بالتهجير والاعتقال والمذابح وتدمير مناطقهم وأرزاقهم، ومحاولات دؤوبة من المؤامرة الدولية لتغيير ديموغرافية سورية لتخلو لهم جغرافية البراغماتية، وضمان عدم قيام ثورة لاحقاً ولو بعد ألف سنة، فيما يظهر زُعماء طارئين لأقليّات عرقية – مذهبية، ويرفعون رؤوسهم كأفاعٍ لاستغلال الوضع، والتماهي مع مخططات الأعداء لقطف ثمار خاصّة - طارئة أو ربما مدفونة سابقاً تحت رماد الاستبداد بانتظار الفرصة المناسبة؟!

هنا لا بدّ من التنويه والتأكيد على أن أي خطاب مظلومية تاريخية يرفع لواء الحق التاريخي بالجغرافيا يهدف لسحق مُخالفيه، والتأليب عليه تحت ذرائع ساقطة لا يعني سوى أنهم يحاولون أخذ ما لم، ولن يمتلكوه أو يستحقوه.

أسئلة برسم صحوة ثورة الحرية، المدنيّة السورية لمن تعنيه سورية كوطن واحد نتساوى فيه بالواجبات قبل الحقوق، ونحترم جميعنا خصوصيات كل إثنية عاشت وتعيش على أرض سورية، ونعتزّ جميعاً بكل تلويناتها، لأننا كسوريين صرنا وبعد عهود طويلة من التنوّع الثقافي والتداخلات نمتلك ميّزة اجتماعية، وهي بالشخصية المُركبة بالتعددية والتلوينات الإثنية الراقيّة، ومسكونين بكل تجلياتها الجميلة ونعتزّ بها كما نحترم ثقافتها وعمقها التاريخي العربي دون تشنج مدروس ومدسوس وغريب، ويبدو أنه مفروض علينا جميعاً.

والسؤال الأكثر أهمية والذي حان أوانه تماماً:

لو وقف السوريون جميعهم دون أي دعوة عرقية، دينية، مذهبية، منذ البدء، كما انطلقت الثورة وتحت راية واحدة، أكان يبقى النظام ويستمر وتخترقنا كل استخبارات العالم وتمزقنا، وتبدأ لاحقاً مرحلة إعادة إنتاج الاستبداد وإخضاعنا وإذلالنا بإعادتنا جميعاً لزرائب القهر والطغيان، ويبدو كذلك لتمزيق سورية وسنكون كلنا خاسرين؟!

كذلك لا بد من الانتباه إلى أن إمكانية قرار اللاعودة عن هذا البركان المُستعِر صار ضيقاً جداً، ربما حتى بالنسبة للاعبين الكبار المُتحكمين بأغلب الخيوط ومؤججيها عن بُعد، فلعنة المكان ستلاحق كل المتواطئين والمساهمين بتقزيم تاريخ وثقافة هذا المكان، لأن دجاجة المكان لم تعُد تقبل أن تُسقِط بيضتها الذهبية بأيدي اللصوص المتربصين بها ليحولوا المكان لمغارة علي بابا أبدية.

## نقطة أول السطر

# جراب الحاوي

طارق عبد الغفور

**ولن أقوم هنا بتفسير معنى الجراب أو الحاوي، إذ أني موقنٌ أن معناهما لا يخفى على فطنة القارئ.**

ويقول إخوتنا المصريون في مثلٍ شائعٍ عندهم وربما عند غيرهم أيضاً: «ياما في الجراب يا حاوي» للتدليل - في جملة ما يُساق للتدليل عليه – أن «الحاوي» يستطيع الاستمرار في إدهاش مشاهديه من كثرة ما يُخرج من وعائه من أشياء مختلفة متباينة من مناديل ملونة ومن طيور وحمائم قد يبدأ بها عروضه، ثم من سيوف وخناجر وسكاكين، ولم تنتهِ عروضه بعد.

وهكذا يفعل الحاوي أوباما وتابعه كيري، أو يفعل الحاوي الصهيوني وتابعاه أوباما وكيري (عودة الى نظرية المؤامرة). إنهم يدهشوننا: يضع يده في الجراب فيخرجها بتصريح عن أن الأسد فقد شرعيته، ولن يستعيدها أبداً، وأنه لا يمكننا الاعتماد على نظام يروّع شعبه، وأن عليه أن يرحل، وأن علينا أن نقوي المعارضة السورية، ونضاعف مساعدتنا العسكرية لها، كأفضل خيار لمواجهة المتطرفين مثل داعش تزامناً مع السعي لحل الأزمة السورية سياسياً، وبشكلٍ نهائي بما أننا نقف الى جانب الشعوب التي تقاتل من أجل حريتها.

كلماتٌ يداعب بها الحاوي مشاعرنا نحن مشاهديه. ثم يُدخل يده في الجراب، ويخرجها بتصريح بوجوب عدم الافراط في التفاؤل بشأن الاتفاق الامريكي الروسي حول وقف القتال في سورية، ثم يُدخلها ويُخرجها بأن الانتصار على داعش يتطلب وقف الحرب الأهلية في سورية، ثم تتسارع حركة يد الحاوي في الجراب فتكون حاضرة عبارة: لن يشمل الحلّ السياسي في سورية بشارَ الأسد، ثم ربما يكون من المتأخر جداً الحفاظ على وحدة سورية كلها إذا انتظرنا وقتاً أطول لإنهاء القتال.

هنا، تبلغ الإثارة قمتها، وتبلغ مهارته ذروتها، ويجب علينا أن نصفق – نحن المشاهدين – عندما يُخرج الحاوي من جرابه، لا عصفوراً ولا حمامةً بل تمساحاً: إن الولايات المتحدة – التي تقف إلى جانب الشعوب التي تقاتل من أجل حريتها– ستدفع باتجاه بلقنة سورية إذا فشل وقف إطلاق النار. وتلك لعمري هي القيَم الأمريكية التي يدافع عنها الرجال والنساء في اليونيفورم. أن يبقى رئيس على كرسي الحكم، ولْيذهبْ بلدٌ ببشره وحجره إلى الجحيم.

والحاوي لا يقدّم عروضه بمفرده، إذ لابدّ له من مساعدين، ومساعدوه هم من الذين زُيّن لهم سوء عملهم فرأوه حسناً، ومنهم داخليون ومنهم خارجيون، ومن أبرز الداخليين داعش التي عاثت في الأرض فساداً، ونشرت الرعب والقرف بين الناس الذين تحكّمت بهم، ودفعت بهم إلى الترحم على «النباش» الأول.

ومن أبرزهم أيضاً جبهة النصرة التي لا تزال تصرّ على ارتباطها بتنظيم القاعدة الذي يعتبره العالم كلّه ارهابياً، ومع ذلك فهي لا تريد أن تنفلت منه، وخاطب زعيمها الجولاني «أمّته» من وراء حجاب طالباً عدم الالتزام بالهدنة التي تخدم أعداءه، وكأن في ترسانته صواريخ مضادةً للطائرات التي تمطره بحممها، وهو ينسحب من بعض مواقعه مهما كانت حجة الانسحاب.

ومنهم إخواننا الكرد الذين يتبعون خطى داعش في تحرير المحرر، وقتال الجيش الحر، والاستيلاء على مواقعه، وتقديم الدعم والإسناد للنظام الذي قمعهم وحرمهم من حقوقهم التي ثاروا لنيلها، وهم يعرفون جيداً أنهم لم يكونوا وحدهم عرضةً لذلك القمع والحرمان.

ومنهم المؤتلفون الذين يبدون الأشدّ حرصاً على الاستمرار في التزلف إلى الحاوي، رغم كلّ الصفعات التي يكيلها لهم في العلن، ووراء الابواب المغلقة بعد أن سلّموه منذ البداية خطامهم.

وأما مساعدو الحاوي الخارجيون، فالحديث عنهم يطول ويورث الحرج، فهم أشقاؤنا وأصدقاؤنا الذين يبدو أنهم يحبون أن يلعبوا «اليويو» في سقف تهديداتهم وتعهداتهم، ولعل في اشتراطهم أن تقود الولايات المتحدة حملتهم البريّة المزمعة ضد الإرهاب في سورية تصديقاً لذلك.

تُرى.. لو لم يكن للحاوي مساعدون كأولئك، هل كان يستطيع أن يقدّم عروضه تلك بهذا الادهاش؟

السنة الثانية / العدد 35 / 01 آذار 2016
الحرمل www.alharmal.com

# المعضلة الكبرى في وجه السوريين... إرهاب الرجل الأبيض

رعد أطلي

دخل الاتفاق الروسي الأمريكي حول هدنة ووقف إطلاق النار في سوريا حيز التنفيذ مستثنياً تنظيم الدولة وجبهة النصرة، وكان مؤتمر ميونيخ للأمن قد أنهى أعماله في بداية الشهر المنصرم مصمماً على محاربة الإرهاب، ودعوة الأطراف السورية للحوار، إلا أن التصميم على محاربة الإرهاب وزيادة الجهود المادية واللوجستية لذلك هو ما ركز عليه أعضاء المؤتمر الذين زادوا عن ثلاثين دولة، ويرى قادة الدول الأوروبية والولايات المتحدة أن الإرهاب بات يهدد العالم أكثر من أي وقت مضى، ولكن ما هو ذلك الإرهاب وضد من يتوجه؟

لا ترى عواصم أوروبا وواشنطن الإرهاب إلا من خلال ما يهدد مصالحهم المباشرة وغير المباشرة وسلامة مواطنيهم، لذلك يعتبرون أن تنظيم الدولة وجبهة النصرة هي الجماعات الأكثر إرهاباً في سوريا، والتي لا يمكن للمجتمع الدولي أن يتفاوض معها، أو يدعو لمحادثات سلام بين تلك الدول وتلك التنظيمات التي يسميها إرهابية، أما نظام الأسد الديكتاتوري، وبكل ما يرتكبه من جرائم قتل وتشريد، إلا أنه من الممكن الحوار معه، وإجراء مفاوضات سلام بينه وبين المعارضة السورية، وهذا طبيعي، فرغم أن الأسد قتل ما يقارب النصف مليون إنسان حسب الإحصاءات الرسمية، وشرد اثني عشر مليون إنسان آخر تضيق أوروبا ذرعاً بلجوء ما يقل عن مليوني إنسان منهم، برغم ما فعله إلا أنه لم يقتل من الأوروبيين أكثر مما فعلته داعش التي قد يصل عدد ضحاياها من الأوروبيين ما يقل عن مئتي إنسان، بالرغم من الفرق الشاسع بين الأرقام إلا أن «الرجل الأبيض» من وجهة نظر قادة العالم ما زال يساوي الكثير، وما مبادئ ويلسون ومقررات الأمم المتحدة إلا محاولات لجعل شكل العالم «لائقاً إنسانياً» لا أكثر.

أعيت المواطن السوري عبثاً محاولاته شرح علاقته مع الأسد بألف صورة وصورة «لسادة العالم»، إلا أن هؤلاء ما زالوا يصرون على تفاوض المعارضة مع الأسد الذي ما زال إلى اليوم الذي يتصايح فيه قادة الغرب عالياً عن الحل السلمي والتفاوض يقصف ويقتل ويحاصر ويجوّع ويشرّد الملايين، يحاول السوريون بشتى الوسائل أن يظهروا للعالم خداع هذا النظام وكذبه، وأنه لا يمكن أن يكون هناك حوار بين الظالم والمظلوم، فكيف يمكن أن تفاوض أو تحاور ظالماً يرى ظلمه لك عدلاً؟ لكن العلة الرئيسية لا تكمن في تشرذم المعارضة، ولا فشلها الإعلامي، ولا ضعف أدائها السياسي الذي طالما تم اتخاذهم مبررات لوصول الأوضاع إلى ما وصلت عليه في سوريا. الأمر بالمختصر أن واشنطن وباريس وبرلين ولندن وروما وغيرها من العواصم التي جاهرت بصداقة الشعب السوري غير مستعدة للشهادة على الأسد بالإرهاب، فالرجل لم يقتل أوروبياً واحداً إلا بضعة صحفيين أوروبيين في بداية الثورة يشك بأنه من قتلهم أصلاً، فعلام يصنف إرهابياً أو خطراً على العالم؟ وخاصة أنه طالما حافظ على سوريا كما يتلاءم ذلك مع مصالح النظام العالمي، ولم يرَ محققو فرنسا وساستها في التفجير الإرهابي الذي ضرب باريس إلا جواز سفر سوري يزيد من تسليط الضوء على اللاجئ «البغيض»، لكن آلاف التقارير والمستندات والدلائل التي قدمها سوريون وغيرهم عن علاقة التنظيم الإرهابي بالأسد، والتي تملأ أدراج مكاتب خارجيتهم وداخليتهم ومخابراتهم لا تستحق النظر، على السوريين أن يحاوروا النظام.

وفي العلن يتحدث القادة عن أن تلك المفاوضات ستفضي إلى حكومة انتقالية من دون الأسد، وماذا عن أركان نظامه الذين لا يقلون وحشية عنه؟ هل من الممكن أن تفاوض مجرماً على طريقة يختارها في القضاء على نفسه، أم أنك ستعيده إلى مكانه يمارس إجرامه؟ هذا إذا فرضنا أولاً أن الوفد المفاوض من قبل النظام قادر على البت في أمر الأسد، وثانياً إن كان فعلاً قادة الغرب يبحثون مسألة إقصاء الأسد.

تصريحات هيئة التفاوض العليا حول طلب جون كيري وزير الخارجية الأمريكي منهم الرضوخ لمطالب روسيا قبيل عقد جنيف 3 في بداية شهر شباط، ومن ثم التسريبات من الناشطين السوريين التي يحمّل فيها كيري مسؤولية العمل الإجرامي التاريخي لروسيا في سوريا هذه الأيام المعارضة لأنها لم ترضخ لمطالب روسيا، ومن ثم تهديد السوريين بثلاثة أشهر من الجحيم، هذا كله يظهر الإرهاب الحقيقي الذي يمارس ضد السوريين، إرهاب الرجل الأبيض الذي لا يأبه بآلاف الضحايا حفاظاً على مصالحه ومشاريعه. امتلأت صفحات التواصل الاجتماعي بألوان العلم الفرنسي إعلاناً عن تضامن الشعوب مع فرنسا ضد العملية الإرهابية البشعة التي راح ضحيتها مئة وثمان وعشرون من الأبرياء، لكن سوريا تشهد ضحايا إرهاب يفوق عددهم اليومي عدد ضحايا باريس، لكن حظهم السيء أنهم لا يحملون جوازات سفر أوروبية.

إلا أن هذا الإرهاب لا يمكن أن يتحجم ضمن بوتقة معينة، ويمارس على مجموعات دون أخرى، هو وحش لا يمكن ترويضه، وسيأكل حتى مربيه في لحظة من اللحظات، هذا الإرهاب الذي يتمثل بتصرفات قادة دول العالم المتحضر. كان إرهاباً عندما استقبلت إيطاليا رئيس إيران وغطت تماثيلها حتى لا يضطر «سماحة السيد» حسن روحاني أن يغض بصره، في حين نكست متاحفها أعلامها حزناً على روائع فنية حطمتها داعش! كان إرهاباً صفقة المليارات التي وقعتها فرنسا مع إيران ولطالما لمحت الرئاسة الفرنسية سابقاً أن إيران داعمة للإرهاب، ذلك الإرهاب الذي قتل الفرنسيين، قبّل السيد فرانسوا أولاند لحية الرئيس الإيراني غير آبه بدماء آلاف السوريين، ولا بمسيرات الإيرانيين الغاضبة، والفتيات الفرنسيات اللواتي علقن أنفسهن بالحبال تمثيلاً لإرهاب النظام الإيراني بأفراد شعبه. هذا الإرهاب لا بد أن يتذوقه الأوربيين قرابين جديدة على مذابح قادتهم السياسيين، فلم يُقتل الباحث الإيطالي الشاب جوليو ريجيني في الأيام الأخيرة، وإنما قتل منذ أن صمت العالم عن قتل آلاف المصريين بآلة القتل الديكتاتورية، ولم يُقتل الفرنسيون لحظة التفجير، وإنما عندما صمت العالم عن فعل المجرم الأرعن الأحمق الديكتاتور في سوريا، إرهاب الرجل الأبيض لا بد أن يتذوقه الأوربيون، ولكن للأسف الضحايا الأبرياء هم من سيدفع ثمن أطماع نظامهم السياسي..

# دوافع ومزايا التجويع كسلاح في الحروب!

حمزة رستناوي

معظم الناس الذين يمارسون التعذيب أو الأعمال القذرة كالحصار حتى التجويع الجماعي للأبرياء، ليسوا بأشخاص مرضى نفسيين وليسوا كذلك بساديين لديهم اضطرابات نفسية خطيرة! الأسباب ليستْ مرضية طبية نفسية، بل الأسباب أساساً هي ثقافية اجتماعية وليدة البيئة والتربية. فالشخص العنصري في مجتمع عنصري يعد طبيعياً، وقد يحظى باحترام وتقدير ويكون زعيماً ذا هيبة وتقدير! وهذا إدانة ليس للعنصري فقط بل للمجتمع والثقافة التي نشأ فيها هذا الشخص! التشفّي أو سكوت الغالبية العظمى من المجتمعات الحاضنة لحزب الله والنظام السوري الأسدي عن حصار مضايا وتجويع أهلها حتّى الموت، ومن قبلها تشفّيهم أو سكوتهم عن مجزرة الكيماوي في الغوطة آب 2013م أو مجزرة الحولة قبلها على سبيل المثال لا الحصر، هو إدانة لثقافة انغلاقية وعنصرية تهيمن على هذه المجتمعات! عقب حدوث مجزرة صبرا وشاتيلا 1982 في لبنان حدثت مظاهرات تل أبيب ضمتْ عشرات الآلاف من الإسرائيليين، وتم تشكيل لجنة تحقيق عليا من قبل الكنيستْ الإسرائيلي، بالتأكيد إنّ هذا لا يقلل أو يلغي المسؤولية الجنائية والأخلاقية على الجيش الإسرائيلي وقادة إسرائيل آنذاك، ولكنه يعطي مؤشراً على حيوية كامنة في المجتمع الإسرائيلي، وكذلك الامر عقب هجمات 11 أيلول 2001م الإرهابية حيث لم نجد مظاهرات أو تعبيرات شعبية مهمّة مستنكرة لها في العالم الإسلامي!

الأغلبية العظمى من الذين يقومون بالتعذيب والأعمال القذرة في الحروب يكونون أشخاصاً طبيعيين، عاديين جداً من مختلف الثقافات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولكنهم يخضعون للسلطة في وقت ما، وتجربة زيمباردو في سجن ستانفورد1971م تدعم هذا الاستنتاج، فالقائمين على هذه التجربة خلصوا إلى أن عمليات التعذيب قد يقوم بها أناس عاديين في ظل نظام أيديولوجي يحظى بدعم مؤسساتي واجتماعي فاعل.

*نقترح ما يلي كأسباب تدفع القادة السياسيين والعسكريين لاستخدام التجويع الجماعي كسلاح في الحروب:

أولاً- الحصار مع التجويع الجماعي هو إحدى الاستراتيجيات المستخدمة في الحروب لضمان استسلام وإخضاع الخصوم. وقد كان هذا شائعاً في العصور القديمة أكثر، ولم يمارس بشكل كبير عقب الحرب العالمية الاولى والثانية (حصار لينينغراد من 1941-1944) إلا في سياق الثورة/ الحرب السورية.

ثانياً- عقاب جماعي للمجتمع الحاضن للمقاتلين، بغية الضغط عليهم أخلاقياً للاستسلام أو قبول صفقة لخروجهم كما حدث في الوعر وأحياء حمص القديمة مثلاً. وهنا يوجد واجب أخلاقي على جميع الأطراف، على قوات المعارضة والثوار أولاً بتجنيب المدنيين ويلات الصراع، ولا يكفي القول أنّ النظام الأسدي هو السبب!! دون أن ينقص من وزره شيئاً.

ثالثاً- إرسال رسالة إلى المقاتلين الآخرين والمجتمعات الحاضنة الأخرى بأن مصيرهم سيكون مثلهم، والإعلام يلعب دوراً مزدوجاً في ذلك: دور فاضح لجريمة التعذيب – دور إيصال رسالة تخويف للناس بأن يواجهوا نفس المصير.

رابعاً- الرغبة في إبادة الآخر المختلف، وهذه سمة الحروب الأهلية والطائفية الدينية، التي تترافق بفرز عامودي وهوياتي في المجتمع.

خامساً- الطرف المحاصِر سواء أكان حزب الله، أو الجيش الأسدي (على مستوى القيادات النافذة) كذلك من لون طائفي واحد. بينما المحاصَرون في مضايا ينتمون إلى لون طائفي واحد مختلف! لذلك ما حدث في مضايا هو جريمة ذات بعد طائفي بامتياز!

*مزايا استخدام سلاح التجويع:

أولاً- سلاح التجويع قديم ولا يحتاج لتقنية عالية أو ذخيرة حية، فقط يحتاج لتفكير شيطاني والحضيض الاخلاقي.

ثانياً- سلاح التجويع يقتل الناس خلسة ببطيء، لا يثير في العادة قلقاً أو ارتكاساً دولياً حاداً ضدّهُ! فما بالك بعالم بلا ضمير!

ثالثاً- سلاح التجويع لا يتمتع بمشهديّة الموت على الطريقة الداعشية: الذبح بالسكين مثلاً- أو التعليق على الرافعات والصلب على أعمدة الكهرباء وفي الساحات – أو حتى الموت بالأسلحة الكيماوية وتحت الأنقاض على الطريقة الأسدية.

# 2016 يا آخر الضيوف

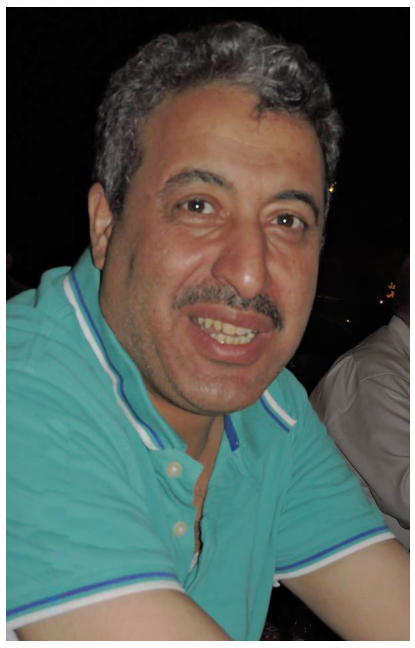

عيسى الشيخ حسن

كلّ مساءٍ تهبّ في وجهي الأسئلة: «لماذا أنت هنا؟» «لماذا لا تذهب وتأخذ نصيبك من الموت والحصار والجوع والنزوح» وكلّ مساء أخمد الأسئلة بقليل من الموتِ أيضاً، ومن قال لكم إنّنا لا نموت، ونحن نقرأ الأخبار العاجلة في شريطها الأحمر؟

يا عامنا الجديد؛ لا تزعل منّا، نحن كرماء، كرماء جداً، وثق أنك ستأخذ حصتك من السوريين مضاعَفة، نحن قومٌ نتغنّى بالحزن، ففي بلادي يشبّهون الكائن الجميل صافي الطبع بالدمعة، فيقول فلان دمعة، أنتَ لا تعرف التشبيه البليغ، لا تخش الجهل في البلاغة، سيغرقك العرب بالمجاز المرسل والاستعارات، والأغاني المشدودة بعناية إلى خاصرة الحزن. أمّا نحن الشعراء، فلا قيمة عندنا للربيع، لا تصدّق من تغنّى بالربيع، هي قصائد قليلة، قليلة جداً، نحن خريفيّون مقيمون على طلول النهايات، لم نبشّر بقمرٍ طالعٍ من بطن حوت، ولا بسنونو عائدٌ إلى أهله، نحن الساعون إلى مديح الطغاة بقوارب بيضاء غرقت في البحر الطويل.

**يا عامنا الجديد؛**

سيكون لك نصيبك من الموتى والنازحين، وبنود الاتفاقيات العابرة، والصحون المرتّبة بعناية في فنادق النجوم الخمسة، هناك: حيث يُكاد لنا، وتكتب أسماؤنا في أوراق سترمى في النهاية في سلّة المهملات، كمقابر جماعية لطيفة.

**يا عامنا الجديد؛**

سيكون لك نصيبك من ولادة النجوم، و»وفيّات الأعيان»، وكأس أوربّا، والعرب أيدل، ستطلّ على الشاشات وجوه بعد وجوه، وملاعب بعد معب، ومذيعون يرخّمون أصواتهم وهم يتلفّظون بأسماء ميسّي ورونالدو وهيفاء ونانسي وكاظم الساهر، وسيكون من العسير أن تظهر أسماؤنا القابعة هناك في سلال المهملات، ستمضي أيامك ظافراً بأفضل ثلاثة أهداف كلّ عشية، بعدما تكون الشاشات قد أتمّت واجبها في نقل الأخبار الساخنة، وتصوير الخرائب الجديدة، واستمزاج آراء المحلّلين و»ضاربي الودع» عن رحيل الكابتن مورينيو، وبقاء الديكتاتور غواردیولا، وانتقال البلاد كلّها إلى دوري الدرجة الثانية أو الثالثة أو الخامسة عشرة.

**يا عامنا الجديد؛**

نحن لسنا متشائمين، فنصف موت خير من الموت، مازالت المخيمات تنجب مع كلّ زخّة رصاص، وتصرخ مع كلّ هدنة مريبة، وتضحك في كلّ سحابة يأس، ولا عليك إذا أفلَ نجم، وغرقت سفينة، وهدم جدار.

نحن لسنا متشائمين، فإن لم تكن عام الخلاص، فأيامك السبيل إلى ذلك العام، وجرارك ماعون ذلك الزيت، وسماؤك الدخان، مجالُ تلك السماء الفضّة.

نحن لسنا متشائمين، وإن شحبت قصائدنا، وانفضّ من حولنا السامر، وعادت تغلب إلى وادي الفرات، تنمّي أموالها، وهجعت بكر تكفر بالحرب التي لم تجلب غير «حشف وسوء كيلة»، وإن نفشت غنم الحرب في زروع الآخرين، وعاد الهدهد من سبأ بنبأ، نحن لسنا متشائمين، وإن تداعت علينا روم خلف ظهرهم روم، وصلبتنا ساعاتك في انتظارٍ طويل.

نحن هنا في المكان، وأنت ضيفنا الجديد، سنلتمس البشارات في جيوبك، وأنت تكبر وتكبر، فلعلّ النجم الذي فقدناه يوماً يطلع من هنا، من ضحكةٍ تخبئها بين شتاءٍ وربيع، وكلّما كبرت بيننا انتظرنا البشارة بشوق أكثر. نحن الذين أدمنّا التفاؤل حتى آخر شهيد.

# الحرب الأهلية في رواية ذهب مع الريح

آرام كربيت

الإبداع هو الخلود، هو المدخل إلى الغيب والغوص في ثناياه، لمحاولة معرفة الواقع، عبثه أو قوته أو جنوحه، انكساره أو صعوده، هو المدخل إلى ممرات الجمر والقبض على المجهول أو التحكم في مجرياته من موقع الفاعل، الراصد الأمين لزمانه وعالمه وتحولات ظروفه في ارتقائه أو سقوطه.

مارغريت ميتشل، الروائية الأمريكية المبدعة أخذتني عبر روايتها الرائعة، ذهب مع الريح، إلى عالمها بكل ألوانه وتنوعاته، الناس والمجتمع والطبيعة وبقية الكائنات. ففي هذا العمل الكبير الذي يمتد على مساحة ألف ومائة وأربعة وأربعون صفحة من القطع الكبير دخلت معها حيوات الناس في عالم الولايات المتحدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في مقاربة عميقة للواقع أثناء السلم وأيامه، والحرب وويلاتها وآلامها، حرق مدن، مزارع وأراضٍ وبيوت ومحلات وغابات، وضحايا بالجملة والمفرق، عسكريون ومدنيون، أطفال ونساء وشيوخ، جوع وبرد وتشرد وخوف وخراب نفسي وأخلاقي على كل الصعد، وما يتعرض له الناس من سلب ونهب وسرقة، وكل ما يقع تحت أيدي الجنود المنتصرين، اغتصاب النساء وقتل الرجال دون مراعاة للسن أو المرض أو وضعه الضحية النفسي والعقلي.

لقد رصدت الرواية تغيير أمزجة الناس أثناء وبعد حرب الأخوة وحيواتهم، وتغيير البنى الاجتماعية خلال مرحلة زمنية قصيرة وانقلاب المفاهيم والمعايير القائمة وتغير العادات والتقاليد.

الحرب كما هو متعارف عليه هي زلزال اجتماعي ونفسي وعقلي وروحي. حالة نكوص وهزيمة وانكسار وارتداد إلى الوراء. ففي الحرب يتحدث تحول نوعي، نزول قطاعات اجتماعية كبيرة من عليائها إلى الدرك الأسفل ودمار حياة المهمشين والفقراء الذين هم أول الضحايا أثناء القتال أو في وسطه أو في أواخرها. بالإضافة إلى هزيمة الحياة ودمار الاقتصاد، وهبوط العملة الوطنية لمناطق القتال، وازدياد حالة التضخم التي تطرأ على البلاد وفقدان المواد الغذائية والمضاربة والتهريب وكثرة المهربين والتجار في السوق السوداء.

استطاعت الروائية أن ترسم عالم الولايات المتحدة من خلال شخصيات العمل بدقة متناهية، وحولت المكان الكبير، الولايات المتحدة إلى أشبه بقرية واحدة متصارعة. أهم الشخصيات في الرواية هي سكارليت أوهارا من منطقة تارا. هذه الصبية الصغيرة التي لم تتجاوز السادسة عشرة من العمر، طموحة، جامحة في حبها لذاتها، للصبا والشباب لحياة اللهو والرقص وحفلات الغناء في الطقس الجميل تحت ظلال الشمس اليانعة بحضور عائلات المزارعين النافذة الذي يمتلك كل واحد منهم عدداً كبيراً من عبيد الأرض وعبيد البيوت، ومزارع القطن المعد لتصديره إلى انكلترا وبيعه بأسعار عالية. كل شاب أو فتاة في الجنوب لديه اعتداد بنفسه، يشعر بذاته، كأنه ملك زمانه.

كان لأبناء الجنوب رغبة شديدة في الانفصال عن الشمال، وعملياً أعلنت إحدى عشر ولاية ذلك. فليدهم قطاعات واسعة من الأرض ويشعرون بالغبن من جراء العلاقة مع الشمال واستغلالهم. أغلب الشباب في الجنوب كانوا متحمسين للحرب، لبساطة تفكيرهم واعتقادهم أن الحرب نزهة على حصان أبيض يذهب إليه عدة أيام ثم يعود إلى بيته مكللاً بالغار والانتصار، وفي قلب كل واحد منهم حماس هائل للقتال من أجل استقلال الجنوب.

كانت سكاريت اوهارا تحب شاباً اسمه أشلي، وفاتحته بهذا الحب في يوم زفافه، وخططت لخطفه في هذا اليوم بالذات، دون أي اعتبار للعواقب، مثل أي مراهق صغير لا يعرف مقدار المسؤولية التي يترتب على هذا الفعل. وعندما تفشل في الوصول إلى مبتغاها تتزوج من شاب صارحها بحبه، اسمه تشارلز، تنجب منه طفلاً دون أن تحب أو لديها أية مشاعر نحوه ولم تعش معه سوى شهر واحد. ترحل إلى مدينة اتلانتا التي لم يتجاوز عدد سكانها عن العشرة آلاف نسمة بيد أنها كانت مدينة حيوية جدا لكونها محطة لتقاطع القطارات القادمة من الشرق والغرب والشمال والجنوب.

بعد رحيل زوج سكارليت، تشارلز، وحبيبها أشلي، وجميع الشباب الذين في هذا السن إلى الحرب. يموت زوجها بعد شهر من رحيله ويأسر حبيبها، مما يجعلها ترحل عن منطقة والديها، تارا، والعيش في بيت حموها الذي تكون زوجة حبيبها أخت زوجها في مدينة اتلانتا.

تصف الرواية سير المعارك في كل مدينة ومنطقة، تفوق الشمال العسكري والاقتصادي والسياسي، وقدرته على فرض مسار المعارك، حاصروا كل الموانئ والبحار وسيطروا على الممرات المائية.

الناس ومنهم سكارليت كانوا يتابعون سير المعارك عبر الجرائد والأخبار الشفهية المتناقلة.

لقد بدأت مارغريت ميتشل في كتابة الرواية في العام 1930 وانتهت منها في العام 1936. لقد مارست أسلوب بسيطة وعميق في رسم ملامح كل شخصية وخارطة كل حدث بدقة متناهية، وبقلم كاتب محترف كأنه يمسك قماش ويطرز عليه ألوانه، عبر أسلوب مقطع إلى أقسام، بحيادية كاملة دون أن تشعر القارئ بالملل في الوقت الذي تكتب عن الحرب والموت والحرق والدمار والجوع. تجعل من يمسك أول الصفحة كأنه يجول في أعماق عالم الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، العادات والتقاليد التي تشبه بلادنا العربية، التمسك بالقيم والأخلاق والفروسية، والخوف من أحاديث الناس وثرثراتهم عمن يحيد عمّا هو سائد. فالمرأة عليها الالتزام في البيت بانتظار مجيء زوجها، فمن المعيب أن تخرج للترفيه أو الذهاب إلى حفلة أو مرقص أو تقف مع شاب أو محادثته في الشارع، لهذا عليها ان تحافظ على سمعتها وسمعة أهلها وعائلة زوجها وأن تتقيد بالثياب والزي المتعارف عليه.

ثم تأتي شخصية ريد بتلر، الشخصية التي لا تحترم الحرب، بيّد أنها تستفيد منها إلى الحدود القصوى، يعمل في التهريب ولا يتورع عن القيام بكل القذارات من أجل المال، بيد أنه صادق مع نفسه.

# إبراهيم الجرادي .. سلاماً

ساقتنا الأقدارُ إلى الجنديّة، فالتقينا بكلّية الشّؤون الفنّية بحمص العديّة، وتبادلنا الأحاديث الشّائقة عن الأدب شعرا ونثراً، وكتبنا معا قصيدة /متاريس/ التي أقمت بناءها متحدّثا عن الزّحف والتّرادف ثمّ مرّت الأيام سريعة لكنّها آذنتنا بانقضاء ستّة الأشهر من الخدمة الإلزاميّة. ثم جلسنا على العُشب الأخضر، وناولتني ديوانك الشّعريّ الموسوم بـ(أجزاء إبراهيم الجرادي المبعثرة) فهل استطعت، أيها الطيبُ، أن تُلملم أجزاءك أم أنها ما زالت مُبعثرة ومُوزعة بين العاكول والحرمل؟!..

أعود فأذكّرك بعبارة الإهداء التي كتبتها في الصفحة الأولى من ديوانك الميمون:

الأخ الفاضل محمود مصطو.. ليس /مم و زين/ لك وحدك مع حبي وتقديري..

كما أهديتني - قبل الوداع - ديواناً آخر عنوانُهُ /رجلٌ يستحم بامرأة/.

لقد وقع بصري، وأنا أتصفحُ مجلة الحرمل، على قصيدتك المنشورة في إحدى صفحاتها بعنوان /فاترٌ مثل ماء الظهيرة/، فقرأتُ سطورها الشعرية، وأمعنتُ في النظر إلى صورتك الشخصية، فاهتززتُ شوقاً وتحرقاً إلى الأيام التي انصرمت عشناها معاً، مُعاناة وحُباً وتطلعاً.

آثرتُ، أيها الأديبُ النجيبُ، أن أهديك هاتين المقالتين الأولى:

/يولد المرءُ في الشرق مقهورا مذعورا/، والثانية /الكتابة جُرحٌ وانقلاب/ وذلك تعبيرا عن تقديري وامتناني لك،

وإن شئت فانشرهُما في مجلتكم الميمونة الغراء /الحرمل/.

**استنبول - محمود مصطو**

# الكتابةُ جرحٌ وانقلابٌ

**محمود مصطو**

إنّ الكتابة، في هذا الزّمن العوسجيّ، عملٌ إنسانيٌّ، ومسؤوليّة، وصدق وإخلاص وصبر وتفانٍ من أجل المبادئ الإنسانيّة، والصّدق الأخلاقيّ، وتحقيق العدل والمساواة، ورأب الصّدع الاجتماعيّ والإنسانيّ بين النّاس، وتقارب الآراء والأفكار والمعتقدات، وصبّها في بحر المحبّة والتّسامح، والتّصالح والتّحابب والإخاء والتّعاون، والتّلاحم بين التّطلعات والطّموحات، وتوحيد الأهداف والمقاصد والغايات، وبذلك يسود المجتمع الإنسانيّ الصّدق والعدل والخير والعلم والسّلام والوضوح والإحسان، وينتفي منه الجهل والتّخلف والكراهيّة والاستبداد..

إنّها تضيع في زمن الرّداءة، وتغدو مغامرة ممتعة في تضاريس البياض وفضاءات الموت... فهل من علاقةٍ وطيدة بين الرّعب والكتابة؟!.

الحقّ أنّ الرّعب إبحار إلى المجهول، والكتابة سفر إلى أعماقه المخوفة، ولا يشعر بلذّتهما إلّا الكتّاب والمبدعون الّذين تتوق نفوسهم إلى التّطواف في مناحي الحياة كافّة ليحوّلوا آلام النّاس، وأكدارهم إلى مباهج ومسرّات، بعد أن عادوا من رحلتهم الشّاقة الممتعة، وقد شهقت بهم جمرة القلب وانبجست منهم وقدة العقل، ودفقة الوجدان كما انسكب من العين الماءُ، وطار شعاع الفكر في فضاء الرّوح بحثاً وتطلّعاً ومعاناةً.

فأيُّ قدرٍ ساقك، أيّها الإنسان إلى هذا العمل الجليل، والمكرمة الإلهيّة النّبيلة تشريفاً وتقديراً وتنزيهاً وحدهم أرباب القلم، ورجال الفكر المخلصون يهتمّون بقضايا المجتمع والإنسان، وبالكلمة الصّادقة يعبّرون عن المواجهة بشجاعة وتحدٍّ، ويواكبون التّيّارات الفكريّة، والاجتماعيّة، والسّياسيّة المعاصرة إيماناً منهم بأنّ الفكر الإنسانيّ الحرّ لا يمكن أن يتفتّح، ويثمر إلّا في جوٍّ من الحرّيّة والسّلام، فالكتابة - عندهم - وعيٌ بالظّروف الّتي يعيشها الإنسان، وموقف من الواقع ومعاناة ولذّة وفنّ بل إنّها - بحقّ - مبدأ ومنهج في آن واحد معاً.

أبداً الكتّاب يجوبون بنتاجاتهم الفكريّة عوالم مسّها السّحر، والبهاء، ويرتادون آفاق الإبداع والابتكار، فهم يعتصرون قلوبهم، وعقولهم ليمدّوا قلوب النّاس، وعقولهم من حولهم بنسغ محبّتهم الصّافية، ودفء حنانهم، وعندم عطفهم غير أنّهم يتألّمون حبّاً، وتوقاً لكشف الحقيقة المغلّفة بأغلفةٍ عصريّة منمّقة، فجراحهم نازفة في خاصرة الكتابة، وفي أعماقهم جرح عميق، لأنّهم يتجاوزون نفوسهم جاعلين أجسادهم جسوراً ممتدّة في رحاب الحياة؛ وأحضان الصّحراء حاملين عناء همّهم اليوميّ، وزادهم الفكريّ إلى النّاس مشاركة منهم في تجلّياتهم، وتداعياتهم المعيشة ثمّ يغترفون من تجاربهم الذّاتيّة، وتجارب الآخرين مادّة طريفة لكتاباتهم الرّائعة المغموسة بآهاتهم، والمخضّبة بألوان مشاعرهم الفرديّة المفعمة بروح التّفاؤل والطُّمأنينة.

إنّنا - القرّاء - أسرى محبّتهم، ومدهشون بروعة صورهم المرمّزة المشدودة إلى رياض قلوبنا المفتوحة حبّاً، وصفاءً.

وبعد، فالكتابة محرقٌ منه ينطلق الكاتب ولغةٌ خاصّة بها يؤسّس المبدعون لحياة أفضل وأجمل تحت وطأة المخاطرة، والمغامرة

# على شرفة الحلم

وحيداً
على شرفة الحلْم
مفترشاً جثتي
والطريقُ إلى الله
مرصودةٌ بالدعاءْ..
حزيناً
أعاتبُ صمتَ الصدى
(والوجوهُ التي بايعتني صباحاً
أضرمتْ أحقادها في المساء)
وأُدهَشُ
كيف تحوّلتُ من رجلٍ طافحٍ بالسعادةِ
حلواً
إلى رجلٍ طافحٍ بالرثاءْ..
وكيف تحول عُرسي الجميلُ
إلى مأتمٍ باردٍ

وثوبُ العروس
إلى كفنٍ خضّبتهُ الدماءْ..
❖ ❖ ❖
سأعترفُ الآن أني تعبتُ
تعبتُ من الفرح الخلبي
ومن كذبةِ الروح
من رقصةِ الجسدِ/ المومياءْ
تعبتُ من المُشتَهى في عيوني
ومن لونِ جلدي
فكيف أبدّل هذا الرداءْ
وضاق بيَ الكونُ
ضاقتْ سمائي
فأسرجتُ صهوة حلْم دعاني
لنكسر في الليلِ سقفَ السماءْ..
تعبتُ
تعبتُ

وما عاد قلبي يحسّ التياعي
فصار لطعم المسراتِ إذْ تعترينيَ
مذاق البكاءْ..
وصار سواءٌ
بأن يسقط الذل عن هامتي
أو يسقط الكبرياءْ..
❖ ❖ ❖
شفتُ الكأسِ باردةْ..
وشفاه المدى... حجرْ
ودمي غيمةٌ شاردة
لم تعدْ تشبهُ المطرْ

دقتْ الساعةُ... الواحدة
أطفأ الروح... وانتحرْ!
❖ ❖ ❖

**هديب شحاذة**

# قلائد النّار الضالّة: مجموعة شعرية جديدة لـ «هوشنك أوسي»

القاهرة - الحرمل - و.ش

صدر حديثاً عن دار «فضاءات» للطباعة والنشر في العاصمة الأردنية عمّان، مجموعة شعرية للشاعر الكردي السوري هوشنك أوسي، بعنوان: «قصائد النّار الضالّة.. في مديح القرابين».

أتت المجموعة في 176 صفحة مع القطع المتوسط، مطوية على ثلاث عشرة قصيدة، كتبها الشاعر بين أعوام 2005 و2008، أثناء تواجده في دمشق، والقصائد هي: «زيتونامة»، «الجبل كاف والغيمة نون»، «الأيل الناري الشهيد ومدن الثلج الشاهدة (إلى الشاعر الكردي العراقي عبدالستار نور علي)»، «مدوّنات الشيطان»، «سيدة الحرائق الباكية (إلى الشاعرة الامازيغية المغربية مليكة مزان)»، «الرجيم»، «ألبوم إيروتيكي»، «إمام الطير»، «الساقي (إلى ريزان عيسى)»، «محتف الأنثى»، «البحر وبلاغة الدم (إلى سمير قصير)»، «خِطاب البوم»، و«أسيرُ الغزلان».

لوحتا غلاف المجموعة هما للفنان الكردي السوري نهاد الترك.

الشاعر أوسي، يكتب باللغتين الكردية والعربية. وإلى جانب كتابه الشعر، زاول العمل الصحافي، حيث كان محرراً في مجلة «سورغُل - Sorgul» الكرديّة المعنية بالبحث والتوثيق والتحليل، وعمل محرراً للأخبار في قناة «روج تيفي» الكرديّة في بروكسل.

ونشرت مقالاته ودراساته صحف عربيّة عديدة منها «الحياة، الشرق الأوسط، القدس العربي، الخليج، المستقبل، السفير، النهار، معهد العربية للدراسات، مركز مسبار للدراسات، مجلة نزوى العمانيّة، مجلة الشروق الامارتيّة...».

ترجمت مقالاته السياسية إلى الانكليزية والتركية ونشرتها صحيفة «ريديكال» التركية، كما ترجمت نماذج من نصوصه الشعرية إلى الانكليزية، الفرنسية، الهولندية والتركية.

الشاعر أوسي، عضو: نادي القلم الكردي. نادي القلم الفلاماني - البلجيكي. نادي القلم الدولي. رابطة الكتّاب السوريين. رابطة الصحافيين السوريين.

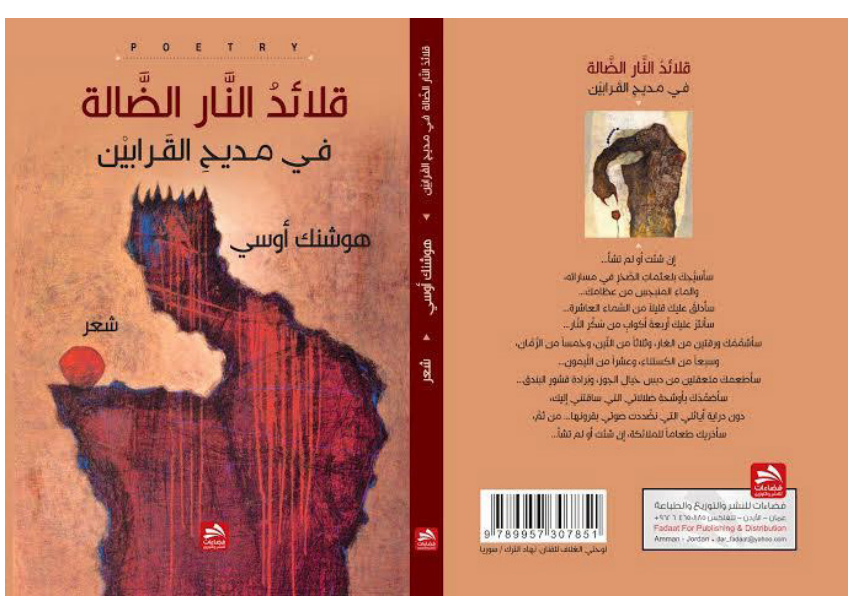

# ومضات ومحطات في حياة هارون الرشيد

عبد العظيم إسماعيل

## رجل المهمات الصعبة

1

لم يغادر الرشيد مدينة الرقة مدة عامين كاملين، وهو في سهر متواصل وجهد لا ينقطع، حتى استعاد هيبة دولته في الخارج، ووطّد الأمن والاستقرار في الداخل، وسارت سفينة الدولة، يقودها هو بنفسه، ونخبة من رجاله وجلّهم من العرب، بدل أولئك الذين كادوا أن يصبغوها بصبغتهم الفارسية، النزّاعة إلى الشعوبية الناقمة، التي لم تنس رغم سماحة الإسلام الذي نقلهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة النار إلى عبادة رب السماوات والأرض، لم ينسوا حقدهم الدفين عليه، ولو تظاهروا بالنسيان، وحاولوا النيل من كل ما يمت للإسلام وللعرب بشكل مباشر إن استطاعوا، وإن أعجزتهم الحيلة استعملوا ذكاءهم في الكيد والدسائس – وما اليوم ببعيد عن الماضي –

2

أصبح الرشيد سيد الموقف في دولته بلا منازع، منذ بدية عام 188 للهجرة، وحتى وفاته عام 192 للهجرة، في ضاحية «سناباذ- مشهد اليوم-» وهو في حملته لقتال «رافع بن ليث».

وفي أوائل شهر شوال من عام 188 للهجرة خرج الرشيد من مدينة الرقة محرماً، ومعه زبيدة بنت جعفر تمشي بجانبه، في موكب للحج مهيب تصحبه فرقة كبيرة من الجيش الذي أعدّه للشخوص معه إلى خرسان بعد أداء الفريضة، وقبل العودة إلى مقره.

وزّع الهدايا، وقسّم الأموال على سكان الحرمين، حتى لم يبق في ذلك اليوم فقير جائع، بينما انصرفت زبيدة بنت جعفر إلى المشاريع الخيرية، فأمرت بحفر البرك وتشييد البيوت في الصحارى على طريق الحج لراحة الحجاج، ثم دعت عامل زوجها على مكة على إيصال الماء إلى مكة من عين تبعد اثنا عشر ميلاً، وقالت قولتها المشهورة: «أجرِ الماء إلى مكة ولو كلّفتك ضربة المعول ديناراً»، فكان لها ما أرادت، وجرى الماء إلى مكة، وسُمّيت العين باسمها، ولا تزال حتى اليوم.

وقفل راجعاً في طريقه إلى الرقة في أواخر عام 189 للهجرة بعد سفر استغرق ما يزيد عن عام.

## انتفاضة الحسم

1

لم يكن هارون الرشيد أول أو آخر خليفة أو ملك أو مسؤول يغضب على وزير من وزرائه أو من حاشيته فيقتله، ويزج أهله وذويه في غيابة السجن، ولكن مكانة البرامكة بين الناس، بفضل الدعاية التي صنعوها بأنفسهم بمختلف الوسائل، وما عُرف عن صلتهم الوثيقة بالرشيد، ثم أخذه لهم بغتة وهم لا يشعرون، كل هذا جعل الناس في عهده يتساءلون عن البواعث والدوافع لتلك الانتفاضة الدامية.

2

أغمض الرشيد عينيه فترة غير قصيرة عن أعمال البرامكة ومحاسبتهم وفاء منه لخدماتهم، وثقة بهم ما داموا سائرين في بادئ الأمر على النهج المستقيم، رغم أنه لم تكن تخفيه خافية عن أعمالهم، إلاّ كان لديه علم بها بواسطة أعوانه وأرصاده حتى إذا أحسّ بالخطأ الذي كان منه تجاه نفسه ورعيته ودولته، فإن انتباهته جاءت متأخرة، إلى أن تركّز نفوذهم في قلب دولته، وظهر سلطانهم على سلطانه في عاصمته، وتكالبت النعرة الفارسية والشعوبية ضد عروبته، بالإضافة لسيطرتهم على جهاز الإدارة، ورضوخ عظماء الدولة لإشارتهم، واستبداد يحيى بن خالد بكل شيء، فلا يصدر أمر، ولا يُنفّذ مشروع إلاّ بإذنه.

والأشد من هذا، أن يجد وزيره جعفراً قد استغلّ حبه وثقته أبعد استغلال، واستهان بأمره، وتدخّل في خاص شؤونه، حتى أوقع بين وليي عهده الأمين والمأمون، واستخفّ بمكانة زبيدة بنت جعفر سيدة القصر وزعيمة نساء بني هاشم، ولم يرع حرمة زوجها، وخاصمها علناً وخفيةً، وتجرأ على الرشيد نفسه في منعه المال إذا طلبه عند الحاجة بحجة المحافظة على أموال المسلمين التي راح هو وجماعته يرتعون فيها بغير حساب، بل بلغ الأمر بجعفر البرمكي أن قال لأحد خواص الرشيد، على أثر عتاب وُجّه له: والله، لئن كلّفنا الرشيد بما لا نحب، ليكوننّ وبالاً عليه سريعاً.

# بين مدينتين وحجرين..

عنتر دعيس

المدينة انقسمت عدة أقسام، وكل منها تحول إلى منظومة رعوية وخدمية في تعفيش بيوت الناس ومصادرة الموجودات، واستغلال بيوت الغائبين.. الكل يقاتل، ولا يربح الا البسطاء الذين لا يملكون إمكانية خروجهم من الجحيم أو اختاروا البقاء في بيوتهم، لأنهم ببساطة لا يعرفون مكاناً آخر يذهبون إليه..

المدينة اقتسمها المحاربون، وكل طرف يدعي شرعية القسمة من الطرف الآخر، الدمار عمّ المباني والطرقات، والخراب شبه شامل، وترك فيها بعض الأبنية التي استخدمها الطرفان لإقامته فيها، التقسيم بين شرق المدينة وغربها، ولا شيء جديد في الشكل، قسم ينعم بحياة هانئة، وقسم محروم، يعيش الجحيم بشكل يومي، قصف بالطائرات وبراميل الحوامات واقتحامات، وقسم آخر ليس أمامه سوى الصمود في وجه العدوان، هو وبقية باقية معه، يكافح من أجل معاشه اليومي، محروم من الماء الكهرباء وحاجاته اليومية وحتى الضرورية. في مثل هذا الجحيم عاشت عائلة، مؤلفة من أب وأم وطفلة عمرها سنتان، وهم يترقبون فرصة للإفلات من هذا الجحيم.. لا شيء يوازي إحساسك بأنك مسؤول عن عائلة، تعيش همّها، وتحاول الانتصار على عوائق مصاعبها، وتفادي منغصات حياتها، وتشعر أن امتدادك هنا وجذورك باقية طالما بقيت هذه العائلة لذلك تبقى مسألة حمايتها والمحافظة على أفرادها هدفك وعملك الحقيقي.. لا شيء تستطيعه إن حاصرك الواقع، همومك تتراكم، أشياؤك تتبعثر ما تحاول تجنبه ينغرس أمامك وكأنه قدر لك، كل جيرانك غادروا، وأنت ما زلت تردد أن هذا التراب لك، هذه الدروب والأزقة والعمران، لك فيها أكثر من الآخرين، ذكرياتك وكل ما هو جميل وجليل عندك موجود هنا، أنت تعشق هذا المكان ولا تعرف غيره، وهكذا تحاول أن تنسجم مع ظروف الحياة ومصاعبها...

صباحاً، وفي الوقت الذي ما زال أهل الحي نياماً، تتنقل في الحارة بروحك فقط، ترسم أفضل الخطط للمغادرة، هناك حاجز وأنت مطلوب، لأنهم ببساطة يريدونك قاتلاً لأهلك وذويك، تلغي مشهد الحاجز تتطلع إلى مكان آخر ترصده، هناك قناص لم يترك إنساناً أو حيواناً يجتاز المنطقة، قتل بشراً وقططاً وكلاباً، هو صياد لم يكن أبداً محارباً، يُخفي نفسه وسلاحه، يترصد الفارين، ويقتل ببساطة هناك وهناك، لا شيء يدعو للسلامة إلا المغامرة، وتعرف أن زوجتك معك وابنتك، تتلاحق الأسئلة في ذهنك، وتعاود النوم لحاجة وتعب، وهكذا تمضي أيامك صعبة وما زالت الدنيا بما وسعت تضيق عليك..

في الطرف الآخر طيار يراقب حمولة طائرته برميلين فقط أرميهما وأرجع، «يعني غلوة القهوة بكون عندك بس شوف هالمخربين والإرهابين نجوم الصبح برجع..» يحادث زميله، والآخر يضحك ملء شدقيه.. الطائرة تصل مكان القصف يطلب من المرافق الاستعداد ثم يرمي حمولته ويغادر، البرميلان في السماء يسقطان سقوطاً حراً وسريعاً ومباشراً. في الحي دمار وخراب ودخان بعد وصول البرميلين إلى الأرض، مكان السقوط حي مدني في دائرة قطرها لا يتجاوز خمسة وعشرين متراً.. أحسّ أن صباحه هذا أجمل، وأنه خفيف وانزاح عنه التعب.. كل ما هناك إنه صباح جديد وبمجرد إحساسه أن زوجته وابنته تدعوانه، وقف وطوق زوجته، وتسلقت ابنته برشاقة على كتفيه، وخرج ما بين إحساسه بالدمار حوله رأى جيراناً يعرفهم، أطفالاً ونساءً وكباراً، كلهم بصحبته يغادرون، لم يعد هناك خوف، اجتاز الحواجز كلها، وتطلع بسخرية إلى القناص وهو يراقب يبحث عن مقتول أمامه..

الخبر: قامت الحوامة بإلقاء برميلين متفجرين وقتلت خمسين إرهابيا من شرقي المدينة..

انتهى العرض

# شريف صالح يدّون أحلامه في «دفتر النائم»

وفاء شهاب الدين

عن مؤسسة أخبار اليوم صدرت للكاتب شريف صالح مجموعته القصصية السادسة «دفتر النائم» وهي تتكئ على لغة وصور الأحلام.. فكما ذكر الكاتب أنه كان يدوّن يومياً أحلامه بشكل منتظم إلى أن تجمع لديه أكثر من ستين حلماً قام بغربلتها واختيار ما يتميز منها بخيط سردي.

ومن مادة الأحلام الخام راح يطور تجربته لتخليق نصوص قصصية تتأرجح في معظمها ما بين صفحتين وأربع صفحات.

ويؤكد صالح أن كل مجموعة قصصية تفرض عليه عالمها ولغتها.. وهنا جاءت النصوص كلها مزيجاً من صور الأحلام وتداعياتها وإحكام السرد القصصي.

تقع المجموعة في حوالي مائة صفحة ومن نصوصها: رحلة النهار والليل، كوخ ست الحسن، الخالة اليابانية، قصر الأموات، ضحية آخر الشارع، خطاب شكر للرواد الخمسة، مملكتي مقابل امرأة، حقك من الدنيا، حفلة عربية، زيارة صاحب العمل، شقة الحفيد الأمريكي، سهرة مع بجعة، وابتسامة بوذا.

وعلى كلمة الغلاف نقرأ:

«تعددت تجارب شريف صالح وتنوعت بيئاتها وموضوعاتها لكنه في كل موضوعاته ثابت على مبادئ أساسية ثلاثة هي التي تصنع عوالمه المدهشة.. المبدأ الأول: التمسك بفن القصة القصيرة المغدور الذي يتحول عنه معظم الكُتاب استجابة لسوق النشر.. وثانيهما: عالم الطفولة.. وثالث المبادئ: الأحلام وومضاتها اللذيذة.

صاحب «شخص صالح للقتل» و«بيضة على الشاطئ» و«مثلث العشق» اختار أن يعلن حفاوته

بالأحلام في هذه المجموعة ابتداء من العنوان «دفتر النائم».

تضم المجموعة أربعاً وعشرين قصة قصيرة، بعضها تتناول لحظات من حياة طفل حقيقي أو طفل كهل.. وجميعها على صلة بالأحلام.. حيث اللامنطق والغرابة والمباغتة في لغة رشيقة ممتعة».

تبقى الإشارة إلى أن «دفتر النائم» هي سادس مجموعة لشريف صالح الذي سبق له الفوز بجائزة ساويرس وجائزة دبي الثقافية وكذلك جائزة الشارقة للإبداع.. وإلى جانب ست مجموعات قصصية صدر له مسرحية «رقصة الديك» وكتاب نقدي بعنوان «نجيب محفوظ وتحولات الحكاية».

# الأحلام والمستقبل

جوى النجم

أجد صعوبة كبيرة في العثور على كلمات أستطيع أن أفرغ مشاعري فيها بالشكل الذي أراه مرضياً، بل إني أعتقد أن ذلك يكاد يكون مستحيلاً. أنا في مقتبل عمري، في السن الذي يُقال إن أحلام الإنسان فيه – شاباً كان أم فتاةً – مصبوغةٌ بألوان الربيع الزاهية، ومطرّزةٌ برؤىً تحاول رسم مستقبل نضير تكون الآمال فيه قريبة المنال، يكفيه أن يمدّ إليها يده ليقطفها.

هذه الأحلام المصبوغة المطرّزة يراها حين يُغمض عينيه.. حين ينام، أما في يقظته، فما هي إلا كوابيس تتناهشه مخالبها، دمارٌ وخرابٌ.. جثثٌ مشوهةٌ.. أنينٌ ودموعٌ وجوعٌ، مشاهدُ لم يرها المعري في جهنم عندما زارها في رسالته.

هذه المشاهد محفورةٌ في ذاكرتي وتكاد تكون هي الطاغية عليها، بل يكاد لا يكون في الذاكرة غيرها.

نقرأ في الكتب أن ذكريات الماضي تؤثر على خيارات المستقبل، إذن فسيؤثر مخزون ذكرياتي على خيارات مستقبلي كما على مستقبل كل أبناء جيلي. لا أريد أن يكون هذا التأثير سلبياً، بل أريده إيجابياً، وأعتقد أنه سيكون كذلك إذا أخضعنا كل المآسي التي مررنا وما زلنا نمرّ بها، والتي يجب أن نضع لها حداً، إلى دراسة عميقة نستخلص منها الدروس والعبر الكفيلة بعدم العودة إلى الأوضاع التي سببت المأساة التي نعيشها، وإن لم نفعل، فسيكون المحفور في ذاكرتي من الماضي هو ما سأظل أراه وأعيشه في ما لن يكون اسمه «المستقبل».

صحيفة الحرمل: ثقافية-سياسية-نصف شهرية-تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين
رئيس مجلس الإدارة و رئيس التحرير: بسام البليبل / مدير التحرير: يوسف دعيس
ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI: **35** YIL: 2016 (**2**) -
İMTİYAZ SAHİBİ: **ŞÜKRÜ KIRBOĞA** - EDİTÖR: **BASSAM ALBULAIBL**
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 **MOB: 00905316201958**

W W W . A L H A R M A L . C O M
للتواصل عبر فيس بوك Facebook.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر تويتر Twitter.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر البريد الإلكتروني Alharmal.journal@gmail.com
Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa

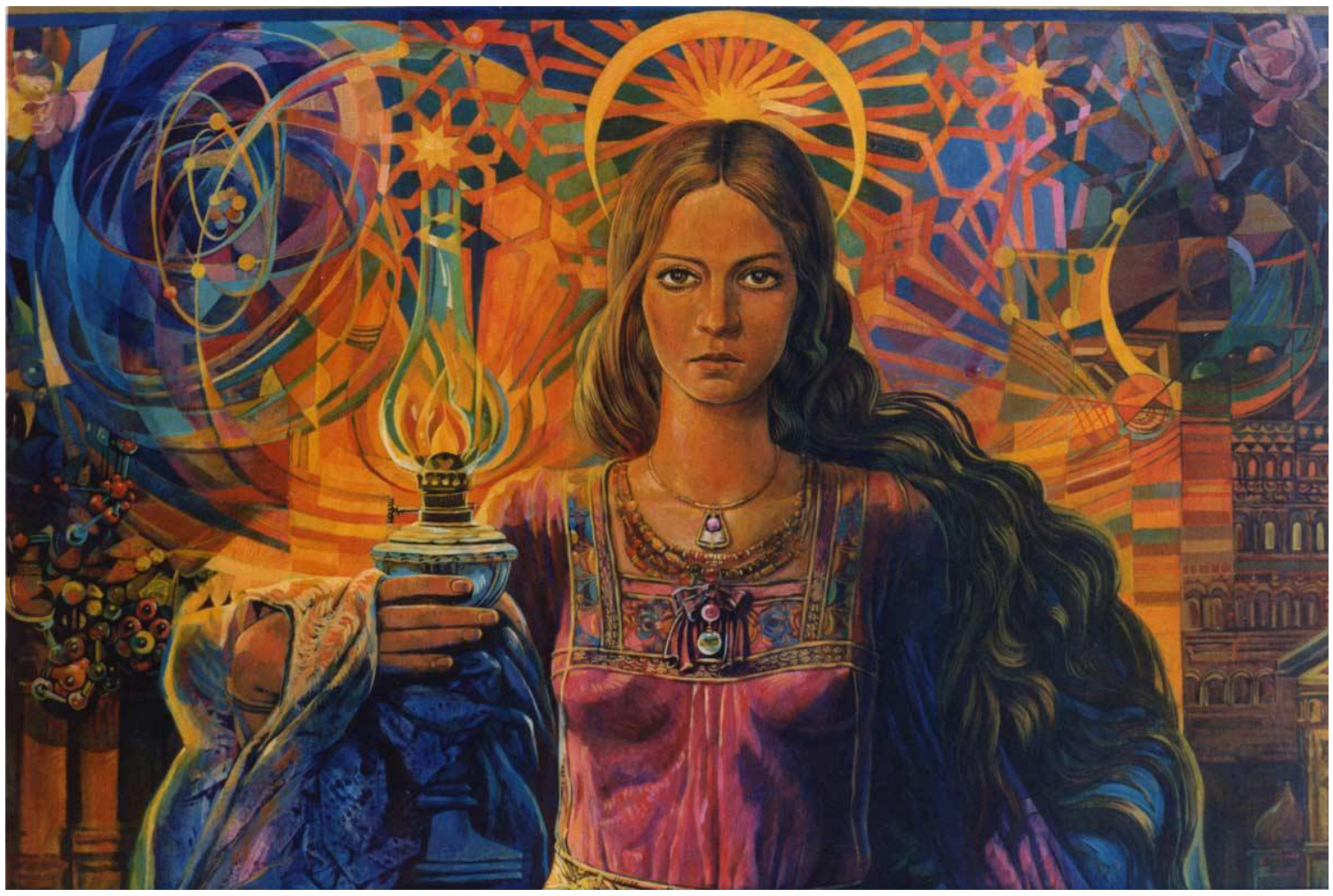

# وداعاً نذير نبعة..

الفنان التشكيلي السوري الراحل نذير نبعة، من مواليد دمشق عام 1938 تخرج من كلية الفنون الجميلة بجامعة القاهرة عام 1965 أتم دراساته العليا في مدرسة الفنون بباريس. مارس تدريس الفنون في مدارس دير الزور ودمشق، وكلية الفنون الجميلة وطلاب الدراسات العليا. وعمل رسام موتيف ومصمم غرافيك للرسوم الداخلية للعديد من الصحف والملصقات في بيروت ودمشق.. قامة تشكيلية سورية كبيرة في ميادين الحركة التشكيلية المحلية والعربية العالمية، وواحد من روّاد الحداثة التعبيرية السورية المميزين.. توفي في دمشق في 23 شباط 2016م

# رحيل المخرج السوري نبيل المالح

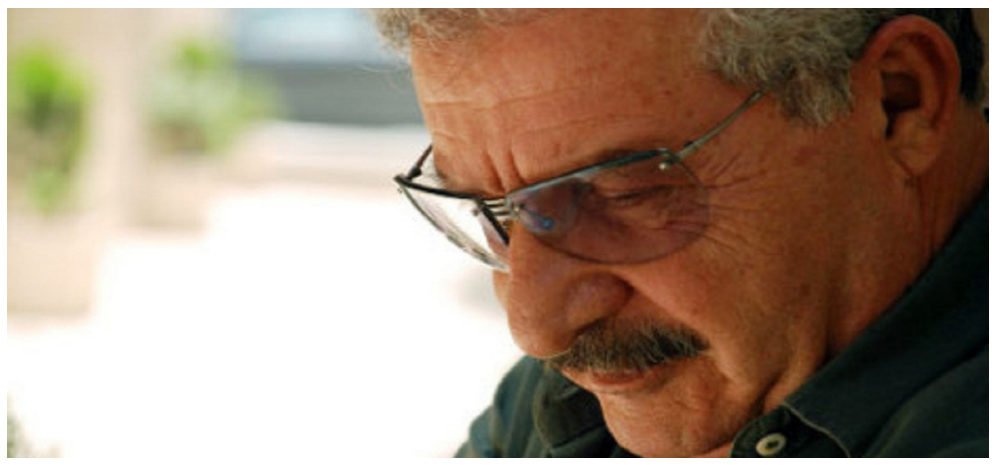

رحل السينمائي نبيل المالح الذي رصد الاستبداد وأفعاله الشنيعة ضد المجتمع السوري بتاريخ الأربعاء 2016/2/24 رحل المخرج السينمائي السوري نبيل المالح بعد مسيرة سينمائية مثيرة ومجددة في الحياة الثقافية السورية، ومعارضة لسلطات الظلم والاستبداد، ومن أشهرها فيلم الكومبارس والفهد اللذان أخذا شهرة كبيرة في سورية، وفي العالم العربي، ومن أجواء نعي المخرج الراحل:

المخرج هيثم حقي: وداعاً نبيل المالح

وداعاً صديقي العتيق العتيق.. أي حزن هذا الذي حوّل صفحاتنا إلى أوراق نعوة الأحبة... وداعاً نبيل صديقي وشريك العمل السينمائي والثقافي خلال الأربعين سنة الماضية.. من الصعب اختصار ما جمعنا معاً خلال سنين طويلة، لكن عنوانه الأبرز: مودة إنسانية عميقة.. وحب للسينما.. ولبلدنا وأهله الطيبين.. والسعي بكل الوسائل نحو سوريا حرة..

أنتجتُ لك «أسرار الشاشة» حيث قدمت عصارة تجربتك كمعلم سينمائي، وحين أتطلع اليوم إلى حلقاته أجد روح الشباب الدائم والحماس الذي رأيته في لقائنا الأخير في باريس حين جئت رغم المرض لحضور عرض فيلمك الجميل «الكومبارس» في النادي السينمائي السوري، ولعل الأيام الثلاثة التي قضيناها معك هالا وأنا كانت تلويحة الوداع التي قررت الحياة أن تمنحنا إياها..

حزني كبير على خسارة سوريا مبدعيها الكبار الذين استطاعوا رغم سنوات القمع أن يفتحوا ثغرة في جدار المنع والاضطهاد الأصم ليرفعوا اسم سوريا ويحضّروا شبابها لثورة الحرية والكرامة..

وداعاً نبيل المالح ستبقى حياتك وأفلامك «بقايا صور» دمشقية سيحتفظ بها ملء القلب والعين جيل الحرية القادم..

الناقد محمد منصور: رحم الله المخرج السينمائي السوري نبيل المالح (1936-2016) الذي رحل في دبي اليوم.. كان أكثر الشخصيات السينمائية التي حاورتها في حياتي أهميةً. كان رجلاً مؤمناً بالحرية في أعماقه، مثقفاً قارئاً وصاحب رؤية وفكر وحقيقين كارهاً للبعث ولكل النظم الشمولية. في 2010 كنت قد اتفقت معه على تأليف كتاب عن مسيرته السينمائية والفنية التنويرية الغنية، وكنت قد طلبت منه أن يكتب لي ما يشبه سيرة ذاتية تلخص مشواره الفني والحياتي الإشكالي، كي أغطي الجانب التوثيقي في الكتاب، فكتب نصاً جميلاً كما أعطاني نسخاً من أفلامه، كي أتمكن من كتابة مطالعة نقدية شاملة في سيناه. مع اندلاع الثورة توقف العمل في الكتاب.. لكن نبيل المالح بقي حياً صديقاً ودوداً ألقاه في دبي بمودته الدمشقية التي لم يعكرها زمن، وآمل أن أتمكن من إنجاز الكتاب عن نبيل المالح ليكون صورة عن إنجاز شخصية سورية تركت بصماتها في ثقافتنا.

المخرج مأمون البني: الصديق نبيل المالح كيف تستطيع الكلمات أن تعبر عن فقدانك.. أنا عاجز أن أرثيك، وعاجز أن أتحدث عنك، وعن صداقتنا، وعن أفلامك التي كنت دائماً تدهشنا بجديدك.. أنت نبيل المالح الفنان التشكيلي والمخرج السينمائي السوري القدير، أنت من أهم المبدعين السوريين الذين خطوا للهوية السورية داخل وخارج الوطن. أنت الذي اتهمك النظام يوماً أنك متعامل مع العدو فقط لأنك معارض وناشط في المجتمع المدني. في بيتك أنت وفي حي المهاجرين الدمشقي، كنت تجتمع مع رجال الفكر والفن والسياسة، أنت بفقدانك بسطت مساحة كبيرة من الألم لا يُقلصها إلاّ إعادة مشاهدة أفلامك لتخفيف لواعج حزننا عن غيابك. منذ أن هتفت لي وأخبرتني أن قلبك الكبير بدأ يشكيك من كثرة عدد السكائر التي تستهلكها يومياً، وأنا على صراع معك من أجل تقليل هذا السم الذي دافعت عنه بقولك: «وهل يبقى لي غير هذا..! مأمون اكتشفت أننا صغار جداً في المغترب، نظام بلدنا نبذنا، العمر داهمنا، العالم ظلمنا، أنا أستبدل الكاميرا التي فقدتها الآن في المنفى الاختياري بالسيكارة، لكني ما زلت أكتب مشاريع سينمائية جُلّها عن الثورة السورية.. أحمد الله أني بين عائلتي، زوجتي فريال وابنتي ابلا وزلفا وزوجيهما وأنتم الأصدقاء المقربون.. أنتم عائلتي أنتم أحبائي أنتم الآن أفلامي..».. أتت كلماته تلك كمؤشر وداع أحسست بها كصاعقة انتزعت بسمتي. .

يذكر بأن المرحوم نبيل المالح من مواليد 1936 ومن أبرز أعماله، فيلم «كومبارس» (1993) (من بطولة بسام كوسا وسمر سامي)، وكان نموذجاً لسينما جميلة قليلة الكلفة، وفيلم «الفهد» (1972) فيلمه الجماهيري المأخوذ عن رواية لحيدر حيدر، ولعبت فيه إغراء دور البطولة. إلى فيلم «رجال تحت الشمس (1970)، و»السيد التقدمي» (1975)، و»بقايا صور» (1980) والكثير سواها.

# زاوية حرة

## الهدنة.. وصياغة النظام الدولي

مازن العليوي

إشكالية أخلاقية كبرى، ربما لم يشهدها التاريخ البشري، أن يحتاج نظام حاكم لدولة ما وساطات ومناشدات دولية للتوقف عن قتل وقصف شعبه، وتكبر الإشكالية عندما تتوصل المساعي الدولية إلى قبول النظام اتفاقاً ينص على هدنة مع خصومه – الذين هم من الشعب - تشهد وقفاً لإطلاق النار، ليلملم الشعب جراحاته، غير أنه يخرق الهدنة في دقائقها الأولى ليجهض أحلام المساكين بأيام آمنة معدودة.

هذا هو الواقع على الساحة السورية اليوم، ما يطرح جملة من التساؤلات عن منطق القوى العالمية الكبرى في عدم اتخاذ قرار صارم لإنقاذ البشر من حالة ظلامية غير مسبوقة، واكتفاء بعضها بتصريحات لا تغني ولا تسمن ولا تحل مشكلة، فيما تصطف روسيا علناً مع القاتل ضد الضحية من غير رادع فهي مدركة أن اصطدام القوى القادرة على الحل العسكري معها لن يحدث، وتمارس بالتالي سياسة المصالح المتعددة، لكونها من جهة تريد استعادة الهيبة الضائعة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي ووراثتها له في مجلس الأمن، وتسعى عبر الأزمة السورية لإنعاش اقتصادها، فبيع الأسلحة للنظام السوري، و»استئجاره» لطائراتها وصواريخها لالتقاط أنفاسه، ومخططات إعادة الإعمار التي تستعد لها الشركات الروسية.. كل ذلك ليس بالمجان، ومن سيدفع الثمن هو الشعب السوري من دخله القومي مستقبلاً، فكلما استمر النظام في الحكم ارتفع مبلغ الفاتورة، والأكيد أن تلك الفاتورة ستنعش بطريقة ما الاقتصاد الروسي المنهار حالياً.

الحقيقة التي يجب أن يدركها الروس وغيرهم أن النظام السوري لن يستمر، وكذلك النظام الروسي.. فما من نظام قمعي عاش إلى الأبد، ولا بد أن تتحقق إرادات الشعوب. ولو تفكّر الروس قليلاً في النتيجة التي انتهى إليها الاتحاد السوفييتي - على الرغم من جبروته - حين تهاوى وتداعى تماماً، لكونه نظاماً قمعياً وإن ادّعى العكس.. لأعادوا الحسابات.

لو استمرت الهدنة المشكوك في قدرة النظام السوري على الالتزام بها بناء على تجارب سابقة مارس خلالها أساليب ملتوية للتملص من الضغوط الخارجية، فالمسألة يجب أن تقود إلى بداية عقلانية للحل. وإن لم يحدث شيء من ذلك، فالمفترض بمجلس الأمن الدولي الذي صادق بالإجماع قبل أيام على قرار الهدنة أن يعلن فشله الذريع في حماية الشعوب من ظالميها، ولعل الأزمة السورية خير دليل على العجز الدولي، وعجز المنظمة العامة للأمم المتحدة عن أداء دورها، ما يتطلب إعادة صياغة النظام الدولي بطريقة تحفظ حقوق الشعوب وتحاسب القَتَلة.